روايات مصرية للجيب

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

المحترفون

144



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ـ الشيطان..

انطلقت تنهيدة عميقة، من أعماق صدر طبيب السفارة الإسرائيلية، فى قلب العاصمة الإيطالية (روما)، وهو يجفف العرق الغزير، المتصبّب على وجهه، على الرغم من برودة الطقس، وأشار إلى جسد رجل المخابرات المصرى (عماد رامز)، الغارق فى غيبوبة عميقة، داخل حجرة عناية مركّزة سرية، فى قبو مبنى السفارة، وهو يقول فى إرهاق واضح:

ـ لقد تجاوز مرحلة الخطر.. أخيرًا.

انعقد حاجبا رجل (الموساد) (بل جراهام)، وهو يتطلّع إلى جسد (عماد)، قبل أن يسأل الطبيب فى صرامة:

ـ متى يمكننا انتزاع الحقيقة منه ؟!

ترّدد الطبيب بضع لحظات ، وهو يبحث عن جواب حاسم ، لولا أن قال (دافيد دونهام) ، مسئول أمن السفارة فى صرامة :

- لاداعى للتوتر يا أدون (جراهام) .. إنها مسألة وقت فحسب .

استدار إليه (جراهام) فى حدة ، قائلاً فى غضب :

- لاتدس أنفك فيما لايعنيك يا (دونهام) .

أجابه (دونهام) فى صرامة متحدية :

- الأمر صار يعنينى ، منذ تورّط رجالى فيه يا رجل (الموساد) .

صاح فيه (جراهام) فى حدة :

- رجالك أفسدوا كل شىء ، ولم ينجحوا فى السيطرة على عميلين مصريين ، فى قلب (روما) ، التى تدّعى أنها فى قبضتك .

نطقها ، وعقله ينطلق كصاروخ غاضب ، مستعيدًا ذكرى تلك العملية ، منذ لحظاتها الأولى ..

منذ تسلّل (عماد) إلى منزل (جون روتشيلد) ، مستشار الأمن القومى الإسرائيلى فى (روما) ، واستولى على أوراق سرية بالغة الخطورة ، تثبت تورُّط جهاز المخابرات الإسرائيلى ، فى عملية الهجوم على مركز التجارة العالمى فى (نيويورك) ، فى الحادى عشر من سبتمبر ، عام ألفين وواحد ..

وفى اللحظة الأخيرة ، انكشفت العملية ..

وكانت مطاردة عنيفة ..

مطاردة انتهت بإصابة (عماد) ، وسقوطه فى قبضة الإسرائيليين ، الذين استعادوا أوراقهم السرية ..

وكانت بانتظارهم مفاجأة ..

مفاجأة مخيفة ..

ففى جعبة (عماد) ، عثروا على آلة تصوير رقمية حديثة ، بدون بطاقتها الإليكترونية ، التى يتم تسجيل الصور الرقمية عليها ..

وكان هذا يعنى أمرًا واحدًا ..

لقد التقط (عماد) صورًا رقمية للأوراق ..

وأخفى بطاقة التسجيل فى مكان ما ..

مكان مجهول ..

وفى الوقت الذى قلب فيه الإسرائيليون المنطقة كلها ، ونبشوا كل شبر فى المبنى وسطحه ، بحثًا عن البطاقة الإليكترونية ، كان (أدهم) يخوض حربًا عنيفة فى (نيويورك) ، مع دونا (كارولينا) ورجالها ، بعد إصرارها على احتجازه هناك ، ليتعاون معها ، فى حربها ضد زعماء العائلات الأخرى ..

ولأن (جيهان) ، زميلته السابقة المصابة ، كانت رهينة فى قبضة دونا (كارولينا) ، كان على (أدهم) أن يقاتل بمنتهى العنف ..

ومنتهى البراعة ..

ولأنه من المستحيل أن تقف المخابرات المصرية

ساكنة ، فى موقف كهذا ، فقد تقرّر إرسال ضابط مخابرات مصرى آخر إلى (روما) ، فى محاولة لاستعادة بطاقة التسجيل الرقمية ، والسعى لإنقاذ (عماد) لو أنه لايزال على قيد الحياة ..

ووقع الاختيار على (منى) ..

المقدّم (منى توفيق) ..

وفى (روما) ، بدأت المخابرات الإسرائيلية تطارد (منى) فى شراسة ، وراحت هى وزميلها (أشرف) ، مندوب المخابرات المصّرية ، فى العاصمة الإيطالية ، يقاتلان فى استماتة ، حتى نجحا فى الفرار من قبضة الإسرائيليين ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها خبر مخيف ، إلى جهازى المخابرات المصرى والإسرائيلى ، فى آن واحد ..

خبر مصرع (أدهم) ، على يد رجال دونا (كارولينا) فى (نيويورك) ..

وكانت صدمة لـ (منى) ..

صدمة قاسية ..

للغاية[*] ..

ومن المؤكَّد أنه هناك أمور عديدة ، لم يعلم بها رجال الموساد (بل جراهام) ، وهو يضيف فى عصبية ثائرة ..

- ووجود عملاء مصريين هنا ، يجعل الوقت عاملاً شديد الحيوية والخطورة .

ابتسم (دونهام) ابتسامة واسعة ، حملت لمحة عجيبة من التشفّى ، وهو يقول :

- لا داعى لأن تشغل نفسك بهذا أيضًا ، يا أدون (جراهام) .

صاح فيه (جراهام) ، فى عصبية بالغة :

- ولماذا أيها المتحذلق ؟!

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (الأوراق المكشوفة) .. المغامرة رقم (١٤٣) .

اتسعت ابتسامة (دونهام) ، وازدادت تشفيًا ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت هادئ صارم ، يقول :

- لأنك لم تعد مسئولاً عن العملية بعد الآن يا (جراهام) .

منع (دونهام) ضحكته الساخرة المتشفية بصعوبة ، فى حين استدار (جراهام) فى حدة إلى مصدر الصوت ، قبل أن يجف حلقه ، وتتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى أخطر رجال (الموساد) على الإطلاق ..

(شيمون) ..

(شيمون دوريل) ..

شخصيًا ..

* * *

« مستحيل يا (أشرف) !.. مستحيل !!.. » ..

هتفت (منى) بالعبارة ، فى لهجة أقرب إلى البكاء ، قبل أن تلوّح بيدها ، مستطردة فى مرارة :

ـ لايمكن أن يموت (أدهم) بهذه البساطة .

غمغم (أشرف) فى تردُّد :

ـ كل البشر يموتون يا سيادة المقدَّم .

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول بكل مرارة الدنيا :

ـ ولكننى لم أتصوَّر قط أنه يموت بهذا الأسلوب .

تنهَّد ، متمتمًا :

ـ تعدَّدت الأسباب ، والموت واحد ، وسبحان الحى الذى لايموت .

غمغمت :

ـ صدقت .

ثم انفجرت باكية فى مرارة وحرارة ، مما جعله

يلو بالصمت طويلاً ، حتى هدأت ، واعتدلت تجفِّف دموعها ، قائلة فى حزم :

ـ هل يزعجك أن ترى ضابطًا بالمخابرات يبكى ؟! ..

تنهَّد ، مغمغمًا :

ـ نحن بشر يا سيادة المقدَّم .

قالت فى حزم أكثر :

ـ (أدهم) أيضًا بشر ، ولكنه لايبكى أبدًا .

قال فى سرعة :

ـ ولكنك إمـ ...

بتر قوله بغتة ، عندما بدا له أنه من غير اللائق أن يواصل حديثه ، ولكنها فهمت ما يعنيه ، فانعقد حاجباها فى صرامة ، وهى تقول :

ـ (أدهم) كان سيكره رؤيتى أبكى ، فى أول عملية منفردة لى .

لم ينبس ببنت شفة ، وهو يراقبها فى قلق ، عندما نهضت واقفة فى حزم ، وهى تسأله :

ـ ألديك خريطة للمبنى ، الذى تسلَّل إليه (عماد) ، من أجل تلك الأوراق ؟!

شعر بالمقاومة المستميتة فى أعماقها ، والتى يحتاج بذلها إلى إرادة غير طبيعية ، كما لو أنها تحاول أن تثبت لـ (أدهم) ، قبل أن تثبت لنفسها ، أنها تستطيع احتمال الموقف ..

من أجله ..

ومن أجل (مصر) ..

ودون أن ينبس ببنت شفة ، نهض (أشرف) يحضر خريطة كبيرة ، فردها كاملة أمامها ، قبل أن يقول ، فى صوت خافت :

ـ هذا هو التصميم المعمارى الكامل للمبنى .

فوجئ بها تقول فى صرامة محتدَّة :

ـ لماذا تخفض صوتك هكذا ؟!.. المفترض أننا داخل منزل آمن .. أليس كذلك ؟!

شدّ قامته ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ بلى يا سيادة المقدَّم .

كانت تبذل حقًا جهدًا يفوق قدرات البشر ، للسيطرة على انهيار مشاعرها ، بعد سماعها خبر مصرعه ..

مصرع (أدهم صبرى) ..

كل ذرة فى كيانها كانت تبكى بكل مرارة الدنيا من أجله ..

كل خلجه من خلجات روحها كانت تنتحب لفراقه ..

كل نبضة فى قلبها كانت تصرخ باسمه ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

الدماء التى تجرى فى عروقها كانت حممًا ملتهبـة ، تلتهم روحها بلا رحمة ..

بلا هوادة ..

بلا دموع ..

الدموع الساخنة لم تعد تنهمر من عينيها ..

لقد أصبحت تنهمر من كيانها كله ..

من قلبها ..

وعقلها ..

وروحها ..

الدموع تنهمر ..

وتنهمر ..

وتنهمر ..

ولكن عينيها أصبحتا جافتين ..

هذا لأن كلماته ما زالت تدوى فى أذنيها ..

« عندما يتعلّق الأمر بأمن وسلامة (مصر) ، فلابد وأن تنزاح كل المشاعر الأخرى جانبًا ، مهمـا بلغت قوتها ، أو بلغ عمقها .. » ..

« إذا مـا ارتفـع صـوت (مصـر) ، فلتنخفـض كـل الأصوات الأخرى ، حتى صوت القلب نفسه .. » ..

« الأشخاص ، مهما كانت أهميتهم ، يأتون ويذهبون ، ولكن (مصر) باقية ، مهما طال الزمن .. » ..

عبارات طالما ردّدها (أدهم) على مسمعها ..

وطالما عمل بها ..

كان يستجيب لنداء (مصر) دومًا ..

مهما كان الثمن ..

مهما كان ..

وهى الآن تستمع إلى كلماته من ذاكرتها ..

تستمع إليها من أعمق أعماق وجدانها ..

وتنفذها ..

كما أراد تمامًا ..

ودومًا ..

«زميلنا (عماد) خرج من هنا ، متجهًا إلى السطح مباشرة .. » ..

نطقتها فى حزم وعزم ، لايشفان أبدًا عما يلتهب فى أعماقها ، وهى تشير إلى خريطة المبنى ، و (أشرف) يتابع سبابتها ببصره ، قائلاً :

- هل تعتقدين أنه هناك مكان ، يصلح لإخفاء بطاقة التسجيل الرقمية ؟!

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تجيب فى حزم :

- لإجابة هذا السؤال ، لن تصلح الخرائط ، مهما بلغت دقتها .

واعتدلت مضيفة :

- لابد من زيارة ميدانية .

سألها فى حذر :

- أتعتقدين أنه بإمكانك القيام بهذا ..

سألته فى صرامة :

- ولِمَ لا ؟!

أجابها فى تردُّد :

- أعنى بعد سماع خبر الـ ... الـ ...

قالت فى صرامة أكثر :

- فى عالمنا ، لامجال للأحزان الشخصية يا رجل .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف ، بكل صرامة الدنيا :

- إننا محترفون .

وانهمرت الدموع فى أعماقها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

بدا (شيمون) باردًا، كلوح من الثلج، فى أعماق القطب الشمالى، وهو يدير عينيه فى سطح المبنى، الذى فرّ منه (عماد)، قبل أن يطلق عليه قنّاص الهليكوبتر رصاصاته، ثم لم يلبث رجل (الموساد) الجديد أن التفت إلى (جراهام)، يسأله:

- من آخر من رآه، قبل أن يقفز من السطح ؟!

أجابه (جراهام) فى عصبية، لم يستطع إخفاءها:

- رجال أمن المستشار.

تقدّم (شيمون) من حاجز السطح، عند النقطة التى قفز منها (عماد)، وفحص المكان بمنتهى الدقة، قبل أن ينحنى لفحص شق صغير أسفل الحاجز، فقال (جراهام) بنفس العصبية:

- لقد فحصنا المكان كله شبرًا شبرًا.

قال (شيمون) فى صرامة:

- ولماذا لم تفحصوه مليمترًا بمليمتر ؟!

هتف (جراهام) فى حدة:

- لقد بذلنا كل ما بوسعنا.

اعتدل (شيمون)، وعقد كفيه خلف ظهره، وهو يقول فى برود صارم:

- من الواضح أن هذا لا يكفى.

هتف (جراهام):

- اسمع يا أدون (شيمون)..

استدار إليه (شيمون) بحركة حادة، وقال فى صرامة قاسية:

- اسمعنى أنت جيدًا يا (جراهام).

انتفض جسد (جراهام)، مع الحركة الصارمة المباغتة، واتسعت عيناه عن آخرهما، دون أن

يدرى ، و (شيمون) يتابع بنفس اللهجة ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة ، بنظرة مخيفة :

ـ أسلوبك هذا لايتناسب قط ، مع طبيعة رجل مخابرات إسرائيلى محترف .. أنت عصبى ، متهور ، تتحرك بانفعال أعمى ، وتسىء التعامل مع مرءوسيك ، وزملائك ، و ..

انعقد حاجباه فى شدة ، ليضفيا عليه مظهرًا وحشيًا ، وهو يضيف ، بلهجة ذات مغزى :

ـ ورؤسائك .

امتقع وجه (جراهام) فى شدة ، وقد أدرك ما يعنيه قول (شيمون) ، الذى ألقاه أمام (روتشيلد) و (شندلر) ، دون أن يبالى بمكانته ، خاصة وهو يستطرد ، فى صرامة أكثر :

ـ وفى عملية كهذه ، لايصح وجود شخص متهور ، أو عنيد ، أو مقاوم للضبط والربط .. أليس كذلك ؟!

كاد صوت (جراهام) ينافس شحوب وجهه ، وهو

يغمغم فى خفوت ، وعرق بارد عجيب ، يتصبب على وجهه فى غزارة :

ـ بلى يا أدون (شيمون) .. بلى .

لم يرق خنوعه الشديد لمساعده (شندلر) ، على الرغم من أن (شيمون) قد اعتدل دفعه واحدة ، وتجاهل الموقف كله ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ أريد فحص المكان كله مرة أخرى ، من حجرة مكتب (روتشيلد) الخاصة ، وحتى حاجز السطح ، كما أريد استجواب جميع أفراد طاقم الأمن ، الذين تواجدوا ، فى أثناء عملية التسلل ، وأريد التقاط صور لكل شىء ، وكل ركن ، وكل سنتيمتر .

تردد (شندلر) لحظة ، قبل أن يسأله :

ـ وماذا عن المصريين ؟!

التمعت عينا (شيمون) ، وهو يقول :

ـ سننتظرهم .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، وتساءل مستشار الأمن القومى الإسرائيلى فى حيرة :

- ننتظرهم ؟! وهل تتوقَّع حضورهم إلينا ؟!

أجابه (شيمون) فى سرعة وحزم وثقة :

- بالتأكيد .. لابد وأن يفعلوا .

وتراقصت ابتسامة مخيفة على طرفى شفتيه ، وهو يضيف :

- إنهم محترفون .

وفى عيون الجميع ، بدا لحظتها أشبه بشيطان ..

شيطان محترف ..

من أعمق أعماق الجحيم .

* * *

٢ - العـودة ..

« نجحنا يا دونا .. » ..

هتف (كارلو) ، مساعد دونا (كارولينا) بالعبارة ، فى سعادة جمة ، وهو يلوِّح بمسدسه ، مستطردًا فى حماسة ظافرة :

- العائلات كلها أعلنت ولاءها ، والكل يؤيد بقاءك فى منصب الزعامة ، وسنقيم احتفالاً كبيرًا مساء الغد ، يحضره كل الزعماء الجدد ، إعلانًا لتجديد العهد ..

سألته ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، فى شىء من التوتر :

- وماذا عن الشرطة ؟!

أجابها فى سرعة :

-ليس لديهم دليل واحد .

رمقته بنظرة باردة ، وهى تقول :

-مع كل ما أريق من دماء ؟!

أجاب ضاحكًا :

-إنهم يبذلون قصارى جهدهم .. المهم أن يثبتوا الاتهام .

انعقد حاجبُاها فى شدة ، وغمغمت :

-نعم .. المهم الإثبات .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انبعث صوت قائد طاقم أمن المبنى ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال الداخلى :

-دونا .. بعض رجال الشرطة الفيدرالية ، يصرّون على مقابلتك فورًا .

هتف (كارلو) فى سرعة وتوتر :

-لاتسمحى لهم بالصعود يا دونا .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى ترمقه بنفس النظرة الباردة ، قبل أن تضغط زر جهاز الاتصال ، قائلة بلهجة آمرة :

-دعهم يصعدون .

ثم استدركت فى صرامة :

-واحد منهم فقط .

انعقد حاجبا (كارلو) ، الذى انتظر حتى أغلقت جهاز الاتصال الداخلى ، ليقول فى عصبية :

- لماذا يا دونا ؟

لوّحت بيدها ، مجيبة فى حزم :

- إننا لم نرتكب خطأ ، يمنعنا من مقابلة رجال الشرطة الفيدرالية ، أو حتى رجال المخابرات المركزية .

وصمتت لحظة ، لتنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، مكملة :

- من الناحية الرسمية .

لم تمض دقائق عشر على قولها ، حتى دلف إلى حجرة مكتبها رجل قوى البنية ، عريض المنكبين ، يرتدى معطفًا رثًا على نحو ما ، ويحمل ملامح صارمة ، وهو يقدِّم نفسه ، قائلاً :

ـ المفتش (كال) .. من الشرطة الفيدرالية .

أطفأت سيجارتها فى هدوء ، وهى تسأله :

ـ ماذا تريد منا بالضبط أيها المفتش (كال) ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ أريد تفسيرًا لما يحدث هنا يا دونا .

قالت فى برود :

ـ اسمى (كارولينا) .. (كارولينا كيرليونى) .

زفر فى ضجر ، وهو يقول :

ـ فليكن يا سيدة (كارولينا كيرليونى) .. أريد معرفة ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

سألته ، وهى تسترخى فى مقعدها ، على نحو مستفز :

ـ وما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

قال فى حدة :

ـ لقد عاد بنا الزمن إلى ثلاثينات القرن العشرين فجأة ، ودون سابق إنذار ، وقرر بعضهم تكرار ما فعله دون (كيرليونى) أيامها ، وقتل زعماء العائلات بضربة واحدة ، حتى تتحقق له الزعامة ، أو يستقر مقامه فيها .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ معلوماتك التاريخية ضعيفة إلى حد ما أيها المفتش (كال) ، فالشائعات تقول : إن (مايكل) .. شقيقى الأكبر (مايكل كيرليونى) ، هو الذى فعل هذا ، بعد موت والدنا ، ومحاولة بعض زعماء العائلات الاستيلاء على لقب (الأب الروحى) ، ولكن أحدًا لم يستطع إثبات صحة هذا ، أو حتى توجيه أى اتهام رسمى

لـ (مايكل) ، فليس المهم أن يتصوَّر الكل أنه الذى فعلها .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف ، فى تحد واضح :

ـ المهم إثبات هذا .. رسميًا .

احتقن وجه المفتش ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الزمن تغيَّر يا دو ... احم .. ياسيدة (كيرليونى) .

رفعت أحد حاجبيها ، وهى تقول ، فى شىء من السخرية :

ـ حقًا ؟!

صاح بها فجأة ، فى غضب هادر :

ـ نعم .. حقًا يا ، دونا .. الزمن يتغيَّر ، وكل شىء يتغيَّر معه .. كل شىء .

قالت بنفس السخرية :

ـ عظيم .. أين إذن طن الأدلة والإثباتات ، الذى أتيت تحمله إلى هنا .

هزَّ رأسه فى صرامة ، قائلاً :

ـ كلانا يعلم أن هذا لن يفيد ياسيدة (كيرليونى) .. كلانا واثق من أن العشرات سيشهدون بوجودك خارج هذا الأمر ، وأننا سنجد ألف دليل على عدم وجود أية صلة لك ، أو حتى لرجال منظمتك ، بما حدث لزعماء العائلات ، بل وسيخرج إلينا جيش محاميك ، لإنكار أية صلة لك بمنظمة (المافيا) ، أو حتى بأية أعمال غير قانونية ، وربما يتطوَّر الأمر إلى مقاضاة كل منا ؛ بسبب الإساءة إلى شرفك وسمعتك .

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى هدوء :

ـ عظيم أنك تدرك هذا .

قال المفتش (كال) فى سرعة :

ـ ولكن ماذا عما حدث هنا ؟!

انعقد حاجبا (كارلو) فى شدة ، فى حين صمتت (كارولينا) لحظة ، قبل أن تنفث دخان سيجارتها بمنتهى العمق ، قائلة :

ـ وماذا حدث هنا ؟!

مال المفتش نحوها ، مجيبًا فى صرامة متحدية :

- أحد الهواة التقط فيلمًا عجيبًا ، لشخص قفز من هذه النافذة هنا ، ودار صراع بينكم وبينه ، على نحو مذهل وغير طبيعى ، حتى أعدتموه إلى المبنى .. ثم لم يره مخلوق بعدها قط .

قالت فى بطء ، وهى تزن كل حرف ، قبل أن تنطق به :

- فيلم صوّره أحد الهواة ؟! أشك فى صحة هذا .

تجاهل (كال) عبارتها هذه ، وهو يسألها فى صرامة :

- أين ذلك الرجل يا سيدة (كيرليونى) ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تسأله :

- أى رجل ؟ :

تراجع ، مجيبًا بكل صرامة الدنيا :

- الرجل المعروف فى (المكسيك) و (نيويورك) رسميًا ، باسم (أميجو صاندو) ، والمعروف فى بعض الأوساط السرية باسم (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

رفعت أحد حاجبيها ، وهى تقول :

- (أدهم) ماذا ؟! .. لم أسمع هذا الاسم من قبل قط .

احتقن وجه المفتش فى غضب ، وهو يهتف :

- فليكن يا دونا .. أعدك أن أذكّرك به .

ثم استدار متجهًا إلى الباب ، مضيفًا فى حدة :

- عندما نعثر على جثته .

قالها ، وصفق الباب خلفه فى قوة ، فهتف (كارلو) :

- دونا .. يبدو أنهم يعلمون أن ..

قاطعته بإشارة صارمة :

- اصمت .

وعادت تتراجع فى مقعدها ، وتنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تضيف :

ـ (أدهم صبرى) انتهى من حياتنا إلى الأبد ، ولا أريد أن أسمع اسمه مرة أخرى .. هل تفهم ؟! أدهم صبرى) انتهى .. انتهى تمامًا ..

ولم ينطق (كارلو) حرفًا واحدًا ..

لم يجرؤ على هذا ..

قط ..

* * *

التقطت (منى) نفسًا عميقًا ، وهى تعدِّل وضع منظارها الطبى الزائف على أنفها ، قبل أن تهمس لـ (أشرف) :

ـ تذكَّر أننا صحفيان فى (هيرالد تريبيون) ، كما تقول بطاقتا الهوية ، اللتان صنعهما (قدرى) ببراعته المدهشة ، وهذا ما سنصرّ عليه بشدة ، لو وقعنا فى قبضة طاقم أمن المبنى .

غمغم فى هدوء :

ـ اطمئنى .

تسلَّل كلاهما ، عبر ممرات التهوية المشتركة ، إلى المبنى الذى يحوى شقة (جون روتشيلد) ، مستشار الأمن القومى الإسرائيلى فى (روما) ، حتى بلغا السلم الخلفى ، فهمست (منى) :

ـ هذا سيقودنا إلى السطح مباشرة ، من مدخله الخلفى .

سألها (أشرف) ، وهما يصعدان فى درجات السلم ، فى سرعة وخفة :

ـ هل تعتقدين أن (عماد) قد تركها هناك ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ لا تذكر اسمه أبدًا .

ابتسم لدقتها المتناهية ، وهو يكرِّر :



دلف كلاهما إلى السطح ، ووقفا بضع لحظات ، للتأكد من أن احدًا لم يكشف أمرهما ..

- هل تعتقدين أن المتسلل ، قد ترك بطاقة التسجيل الرقمية هناك ، على السطح ؟!

أجابته فى سرعة ، وهى تلصق أذنها بالباب الخلفى لسطح المبنى ، فى حذر بالغ :

- الإسرائيليون فتشوا كل سنتيمتر فى السطح ، ولو أنه أخفاها فى جحر للنمل لعثروا عليها .

تساءل فى دهشة :

- ما الذى أتينا لنفعله إذن ؟!

أجابته ، وهى تدفع باب السطح ، بمنتهى الحذر :

- أتينا لندرس الموقع على الطبيعة ؛ فقد يقودنا هذا إلى أفكار واحتمالات جديدة .

دلف كلاهما إلى السطح ، ووقفا بضع لحظات ، للتأكد من أن أحدًا لم يكشف أمرهما ، قبل أن تغمغم (منى) :

- موقع جيد ، لمراقبة كل ما حوله .

غمغم (أشرف) :

- إنه يطل بالفعل على أسطح عدد من المبانى المحيطة ، ولا يعلوه سوى ذلك المبنى عبر الشارع .

قالت (منى) ، وهى تتجه إلى حاجز السطح :

- إلى المكان الذى أتى منه إلى هنا حتمًا .

وتوقَّفت بالقرب من الحاجز ، وهى تدير عينيها فيما حولها ، متابعة :

- ووفقًا لتصوّر الخبراء ، فقد اتجه عند هروبه ، إلى هنا مباشرة ، وتوقَّف لبعض الوقت .

قال (أشرف) فى اهتمام :

- ليلتقط صور الأوراق .

تلفّتت حولها ، قائلة :

- وبعدها أخفى بطاقة تسجيل الصور الرقمية ، فى مكان ما .

وضاقت عيناها ، وهى تعتصر عقلها اعتصارًا ، متابعة فى خفوت :

- مكان ما هنا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- أو حولنا .

أشار (أشرف) بسبّابته ، وهو يسأل :

- المهم أين ؟! أين أخفى تلك البطاقة ، التى يتقاتل من أجلها الجميع ؟! أين ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (جراهام) يهتف ، وهو يراقب ما يحدث ، من المبنى المقابل ، عبر منظار مقرِّب :

- لقد كنت على حق يا أدون (شيمون) .. إنهم هناك .

استرخى (شيمون) فى مقعده ، داخل شقة فاخرة ،

فى المبنى المرتفع عبر الشارع، وقال وهو يسبل جفنيه فى هدوء:

-كنت أعلم أنهم سيأتون.

هتف (شندلر) فى حماسة:

-لقد وقعوا فى قبضتنا.

أما (جراهام)، فقد التقط هاتفه المحمول من جيبه، وهو يقول فى صرامة:

-سأبلغ رجالنا، لكى..

قاطعه (شيمون) فى صرامة قاسية:

-أعد هاتفك إلى جيبك يا (جراهام).

قال (جراهام) فى حدة:

-ولكنها فرصة نادرة، قد لايمكننا تعويضها أبدًا.. إنهم على سطح مبنانا، وبإشارة واحدة، يستطيع رجالنا الانقضاض عليهم، وسحقهم سحقًا.

فتح (شيمون) عينيه، وسأله فى اهتمام:

- هل تعتقد هذا ؟!

هتف (جراهام) فى انفعال:

-بالتأكيد.

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (شيمون)، وهو يقول:

- هل تعلم يا (جراهام).. قراراتك هذه يمكن تدريسها، للجيل الجديد فى (الموساد) ؟!

هتف (جراهام):

-حقًا ؟!

اعتدل (شيمون) بحركة حادة، وهو يقول فى صرامة شرسة:

-كمثال للقرارات الانفعالية الحمقاء، التى لاتستند إلى أية لمحة من الحكمة أو المنطق، أو حتى الرؤية الصحيحة للهدف الأساسى.

تراجع (جراهام) كالمصعوق، قبل أن يقول فى حدة:

- ولماذا كل هذا ؟!

هبّ (شيمون) من مقعده، واختطف منه المنظار المقرَّب، قائلاً:

- قل لى أيها العبقرى: لماذا تسعى للتخلُّص من المصريين ؟!

انعقد حاجبا (شندلر)، دون أن ينطق ببنت شفة، فى حين ارتبك (جراهام)، وهو يغمغم:

- أى سؤال هذا ؟!

قال (شيمون) فى صرامة:

- سؤال منطقى يا (جراهام)، بعيدًا عن العداء الغريزى، الذى نما فى أعماقك منذ حداثتك، تجاه العرب عمومًا، والمصريين خاصة .. سؤال يتعلّق بالموقف الحالى فحسب .. لماذا تسعى للتخلُّص منهم ؟!

قال (جراهام) فى حدة:

- إنهم يسعون خلف البطاقة، التى تحوى صور وثائقنا السرية، وأوراقنا بالغة الخطورة والحساسية.

وضع (شيمون) المنظار على عينيه، وهو يسأله:

- وماذا فى هذا ؟!

تبادل (جراهام) نظرة دهشة مستنكرة، مع (شندلر)، قبل أن يقول فى سخط:

- وماذا لو عثروا عليها ؟!

أجابه (شيمون) فى سرعة وحزم:

- هذا لا يهم.

ثم استدرك، قبل أن يمنحه الفرصة للرد أو الانفعال:

- ماداموا تحت سيطرتنا.

ارتفع حاجبا (شندلر)، وتألّقت عيناه، على نحو يوحى بأنه قد استوعب المعنى، فى حين قال (جراهام) فى غضب:

ـ وماذا لو خرجوا عن سيطرتنا ؟!

أجابه (شيمون) فى صرامة :

ـ فلتعمل على ألا يحدث هذا قط .

ثم خفض المنظار ، واستدار إلى (جراهام) ، متابعًا فى لهجة قاسية :

ـ ينبغى أن تتعلَّم القواعد الجديدة للعبة .. بدلاً من أن تهاجم عدوك ، دعه يعمل لحسابك ، ويسعى إلى ما تسعى إليه ، ولكن ضعه تحت سيطرتك التامة .. بهذا تكون قد أضفت أيدى عاملة إلى قواتك ، تعمل بمنتهى الكفاءة والحماسة ، وتساعدك على بلوغ الهدف ، دون أن تكلفك سوى رصاصة واحدة لكل رأس ، فى نهاية الأمر .

غمغم (جراهام) فى عصبية :

ـ المصريون ليسوا بهذه السهولة .. إنهم محترفون مثلنا .

انطلقت ضحكة ساخرة قصيرة ، من بين شفتى (شيمون) ، وهو يقول :

ـ سنرى يا عزيزى (جراهام) .. سنرى ..

نطقها ، وعاد يرفع المنظار المقرَّب إلى عينيه ، ليخفى به ذلك البريق ، الذى سطع فيهما ..

البريق الشيطانى الوحشى ..

جدًا ..

* * *

لم تنبس (منى) بحرف واحد ، منذ عادت مع (أشرف) إلى ذلك المنزل الآمن ، قلب (روما) ، وجلست على المقعد المواجه للنافذة ، مستغرقة فى تفكير عميق ، بدا وكأنه يلتهم كل ذرة من كيانها ..

وفى موقعها هذا ، بدت أشبه بأستاذها ، كما لم تبد من قبل ..

وفى أعماقها ، كانت نسخة طبق الأصل منه ..

إرادتها القوية سيطرت على حزنها العميق ، ودفنته فى جزء مظلم من عقلها ، لتجنِّد ما تبقى من خلايا مخها الرمادية ، للبحث عن تفسير لذلك اللغز الذى تواجهه .

لغز اختفاء بطاقة تسجيل الصور الرقمية ..

لقد فحصت كل شبر فى ذلك السطح ، وأصبحت واثقة ، تمامًا مثلما يثق الإسرائيليون ، فى أن البطاقة ليست هناك ..

ومن المؤكَّد أن (عماد) لم يخفها فى أى مكان فى ملابسه ، وإلا لعثر عليها الإسرائيليون ، وتوقَّفوا عن حملة بحثهم المحمومة عنها ..

أين هى إذن ؟! ..

أين ؟! ..

لقد أخفاها (عماد) فى مكان ما ..

مكان يمكنه العودة لالتقاطها منه ، لو فلت مما يحدث ..

حاولت أن ترسم فى عقلها صورة وهمية لما حدث هناك ، على سطح المبنى ..

(عماد) مطارد ، يعلم أنهم سيظفرون به على الأرجح ..

ولكن الأوراق مازالت فى حوزته ..

ولابد أن تصل إلى (القاهرة) ..

بأى ثمن ..

و ..

« هناك أمر مريب .. » ..

دفع (أشرف) أمامها فجأة ، ورقة تحمل هذه العبارة ، فانتزعها من أفكارها فى عنف ، وجعل حاجباها ينعقدان ، وهى تشير إليه بيدها ، متسائلة عما يعنيه ، فكتب أسفل عبارته الأولى :

ـ هناك شخصان يراقباننا ، من إحدى نوافذ المبنى

المقابل ، على الرغم من أننى واثق من أن أحدًا لم يتبعنا ، عندما عدنا إلى هنا .

نهضت ، تسأله فى صمت ، عن كيفية معرفته لهذا ، فكتب فى سرعة :

ـ الأمور تتطوّر يا سيادة المقدّم ، وعندما استأجرنا هذا المنزل الآمن ، زوّدناه بشبكة من وسائل المراقبة ، الداخلية والخارجية ، مع مجموعة من شاشات الرصد الدقيقة ، لضمان أمنه وسريته .. وإحدى وسائل المراقبة لدينا ، آلة تصوير بالأشعة تحت الحمراء ، وهذا ما سجلته .

ضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، فظهرت على شاشته صورة خضراء اللون ، لرجل يقف فى نافذة المنزل المقابل عبر الشارع ، مستترًا بظلام حجرته ، وعلى عينيه منظار مراقبة كبير ..

كتبت (منى) فى اهتمام :

ـ هل يمكنه كشف ما علمناه الآن ؟!

التقط (أشرف) نفسًا عميقًا ، وكتب :

ـ فقط لو أنهم يمتلكون واحدًا من ميكروفونات الليزر الحديثة(*) ..

انعقد حاجباها فى شدة ، فتنحنح مضيفًا على الورق :

ـ هذا النوع من الميكروفونات يستخدم شعاعًا من الليزر ، لـ ..

قاطعته فى حزم ، وهى تكتب فى سرعة :

ـ لا داعى للشرح .. إننى أعرفه جيدًا ..

وصمتت لحظة ، ثم أضافت على الورق :

ـ إننى لست عتيقة الطراز إلى هذا الحد .

كتب فى حرج ، فى آخر سطر من الورقة :

ـ لم أكن أقصد هذا .

(*) ميكروفون الليزر : هو نوع جديد من أجهزة التنصُّت الفائقة ، يعتمد على إطلاق شعاع رفيع من الليزر ، ثم إعادة استقباله ، بعد أن ينعكس على المصدر المراد التنصُّت عليه ، حاملاً ذبذبات ، تكشف عن كل ما يدور داخل المصدر من أحاديث .

رمقته بنظرة صارمة ، قبل أن تلتقط ورقة أخرى من جوارها ، ثم تزيح كل ما على سطح المنضدة الزجاجية ، لتضع الورقة فوقها ، وتكتب بسرعة :

- سنفترض وجود هذه الميكروفونات ، وسنتوقف عن تبادل الأحاديث ، وسنتحدث عبر الورق فقط .

التقط القلم ، وكتب فى سرعة :

- ماذا تقترحين ؟!

كتبت :

- المعتاد .

تلاقت نظراتهما ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، وقلمه يكتب :

- بالتأكيد .

فى نفس اللحظة ، التى أنهى فيها كتابة الكلمة ، كان (شندلر) يخفض منظار المراقبة عن

عينيه ، ويدير بصره إلى شاشة ميكروفون الليزر ، قائلاً :

- يبدو لى أننا نرتكب خطأ كبيرًا يا أدون (جراهام) .

زمجر (جراهام) ، قائلاً فى فى صرامة :

- قم بعملك فحسب يا (شندلر) ، ودع التفكير واتخاذ القرارات لى .

زفر (شندلر) فى توتر ، وتابع لحظات تلك الذبذبات ، التى يرسمها ميكروفون الليزر على شاشته ، والتى يحولها جهاز الكمبيوتر المتصل به ، إلى أصوات واضحة ، وعبارات يتبادلها (أشرف) مع (منى) ، ثم عاد يرفع منظار المراقبة إلى عينيه ، قائلاً فى توتر :

- أوامر أدون (شيمون) كانت صارمة حازمة فى هذا الأمر .. لقد منعنا من اتخاذ أى قرار منفرد ، بشأن هؤلاء المصريين .

قال (جراهام) فى حدة :

ـ (شيمون) هذا مختلّ العقل .. لقد تعلمنا منذ نعومة أظفارنا ، أن المصريين أعداء لنا ، حتى مبادرة السلام ، التى وقّعها قادتنا وقادتهم ، لن تحولّهم فى غمضة عين إلى أصدقاء .

غمغم (شندلر) فى تردّد :

ـ أدون (شيمون) لا يعتبرهم أصدقاء ، ولكن وجهة نظره أن ..

قاطعه (جراهام) فى شراسة :

ـ لقد أوضح وجهة نظره جيدًا .

ثم التقى حاجباه فى وحشية ، وهو يضيف :

ـ وليذهب مع وجهة نظره السخيفة هذه ، إلى أعمق أعماق الجحيم .

حاول (شندلر) أن يقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، وهو يواصل مراقبة المنزل الآمن ،

الذى تقيم فيه (منى) مع (أشرف) ، قبل أن يسأله (جراهام) فى صرامة :

ـ ماذا يفعلون ؟!

هزّ (شندلر) كتفيه ، قائلاً :

ـ لا يمكننى رؤيتهم ؛ فالستائر مسدلة على كل النوافذ ، ولكنهم يتبادلون بعض الأحاديث التقليدية ، كما تسمع جيدًا .

مطّ (جراهام) شفتيه ، قائلاً :

ـ أحاديثهم سخيفة ، لا تتفق مع طبيعة مهنتهم .

غمغم (شندلر) ، وهو يفكّر فى عمق :

ـ وخاصة فى ظروف كهذه .

لوّح (جراهام) بيده ، قائلاً فى سخط :

ـ هؤلاء هم المصريون ، الذين يتوقّع منهم (شيمون) ، أن يتوصّلوا إلى ما لم نتوصّل نحن إليه ..

أحاديث سخيفة ومكرَّرة ، عن أحدث أفلام السينما ، وخطوط الموضة ،و ..

قاطعه (شندلر) وهو يفكِّر بنفس العمق ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا من تجاوز ، لقواعد ونظم العمل :

- من الناحية المنطقية ، لا يمكن أن يتبادل رجال مخابرات ، فى مهمة رسمية ، أحاديث كهذه ، إلا ..

وخفض منظار المراقبة عن عينيه ، وهو يهتف فى ذعر :

- إلا إذا ..

وقبل أن يكتمل هتافه ، تحطمَ باب المكان فى عنف ..

وانقضَ (أشرف) و (منى) ..

كالعاصفة ..

* * *

تألقت عينا (شيمون) على نحو عجيب ، وهو

يجلس فى استرخاء ، أمام شاشة المراقبة ، فى المبنى المجاور للمنزل الآمن ، الذى يقيم فيه (أشرف) و (منى) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، جعلت (دونهام) يقول ، فى شىء من العصبية :

- عجبًا ! .. هل يروق لك ما تراه ؟!

غمغم (شيمون) ، فى هدوء مستفز :

- بالتأكيد .

ارتفع حاجبا (دونهام) ، فى دهشة مستنكرة ، قبل أن ينعقدا فى توتر ، وهو يتابع المشهد ، الذى تنقله الشاشة الكبيرة ..

كان مشهد (منى) و (أشرف) ، وهما ينقضَّان على (جراهام) و (شندلر) .. ومع المفاجأة العنيفة ، تراجع (شندلر) ، وحاول سحب مسدسه ، وهو يهتف فى ذعر :

- كان ينبغى أن ..

قاطعته لكمة ساحقة ، هوى بها (أشرف) على فكه ، قبل أن يقبض بأصابعه الفولاذية على معصمه ، ويلويه فى عنف ، ليجبره على إفلات مسدسه ، فى نفس اللحظة التى وثبت فيها (منى) ، وركلت (جراهام) فى فكه مباشرة ..

وبحركة يائسة ، حاول (شندلر) التقاط أى شىء ، للهجوم به على (أشرف) ، ولكن (أشرف) لكمه فى معدته ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لحظة اختبار يا هذا .

وعندما انثنى (شندلر) ، من عنف اللكمة ، استقبلت ركبة (أشرف) أنفه ، لتحطِّمه فى عنف ، قبل أن تنضمَّ قبضتاه ، لتهويا على مؤخرة عنقه كالقنبلة .. أما (جراهام) ، فقد صرخ فى غضب ، وهو ينقضَّ على (منى) :

ـ أيتها الـ ..

وثبت (منى) جانبًا ، وهى تخرسه بركلة فى أنفه ، قائلة :

ـ هل جرؤت ؟!

تراجع مع الركلة ، فوثبت مرة أخرى ، ودارت حول نفسها ، وهى تركله ركلة ثانية فى أنفه ، مكملة :

ـ ألم تسمع زميلى ؟!

تحطَّم أنف (جراهام) ، وتفجرَّت منه الدماء فى عنف ، لتغمر وجهه كله ، و (منى) تضيف فى صرامة :

ـ إنه اختبار قوة .

سقط (جراهام) على ركبتيه ، وهو يقول فى غضب هادر ، امتزج برنة ألم قوية :

ـ القوة لنا .. لن تهزمونا أبدًا أيها المصريين .

استدار إليه (أشرف) ، قائلاً فى سخرية :

ـ عجبًا !.. يبدو أن ذاكرتك ضعيفة للغاية أيها

الوغد .. لقد نسيت أو تناسيت ، الدرس الذى لقناكم إياه ، فى أكتوبر ١٩٧٣م .

وعلى الرغم من غضبه وآلامه ، أطلق (جراهام) ضحكة ساخرة ، تناثرت معها الدماء من بين شفتيه ، وهو يقول :

ـ كان هذا فيما مضى أيها المصرى .. كنا نجهل عندئذ كم تطوّرتم ، وكم بلغت قوتكم .. أما الآن فنحن نعرف من أنتم ، ومقدار ما يمكنكم فعله ، و ..

تألّقت عيناه بغتة ، وهو يضيف :

ـ وما يمكننا فعله .

انتبه (أشرف) و (منى) إلى نظرته المتلهفة ، والتفتا فى آن واحد إلى حيث تتجه ، ليرتطم بصرهما بفوهة مسدس آلى قوى ؟! ..

مسدس يصوّبه إليهما (شندلر) ، الذى انطلقت من حلقه زمجرة مخيفة ، وعيناه تحملان كل شر وغضب الدنيا ..

وفى لحظة واحدة ، ومع التفافهما تقريبًا ، ضغط (شندلر) زناد المسدس ..

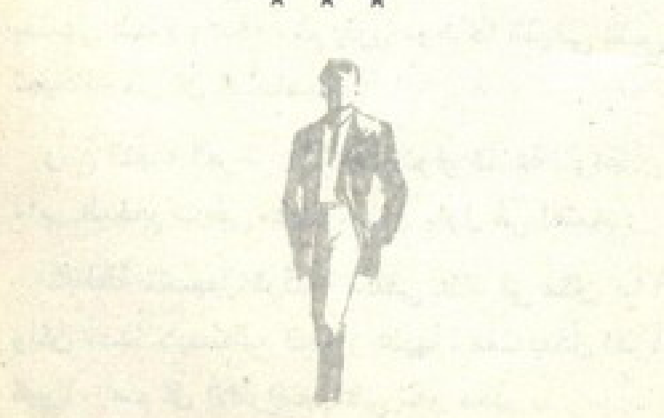
ودوت رصاصة ..

وامتزجت بصرخة رهيبة ..

صرخة كائن حى ، يواجه هادم اللذّات ، ومفرّق الجماعات ..

الموت ..

* * *



٣ـ نظرية الاحتمالات..

ساد الصمت التام، داخل قاعة العرض السينمائى الخاصة، فى مبنى المخابرات العامة المصرية، والشاشة تعرض فيلمًا خاصًا، التقطه أحد العملاء فى (روما)، لذلك المبنى، الذى تسلل إليه (عماد رامز)..

كان الفيلم يستعرض المبنى من الداخل، وسلالمه الأمامية والخلفية، ثم يجول طويلاً على سطحه، بمنتهى البطء والدقة، ثم يدور موضحًا المبانى التى تحيط به من كل الاتجاهات..

ومع انتهاء العرض، أضيئت أنوار القاعة، واعتدل مدير المخابرات فى مقعده، وهو يقول فى اهتمام:

ـ بطاقة التسجيل الرقمية تختفى هنا، فى مكان ما، ولكن أحدًا لا يستطيع العثور عليها، مما يمثل لغزًا كبيرًا، أمام كل الأطراف، على نحو محيّر.

تنهدّ مساعد المدير، وهو يقول:

ـ الظروف لم تمنح (عماد) فرصة اللجوء إلى أية خطط بديلة، من المتفق عليها، فى حالات الطوارئ، ومن الواضح أنه قد تعامل مع الموقف من وحى الساعة.

قال المدير فى حزم:

ـ علينا إذن أن نضع أنفسنا فى موضعه؛ لنرى كل ما يمكن أن يفكِّر فيه.

قال مساعد آخر:

ـ هذا يحتاج إلى خبير أمنى، وخبير نفسى أيضًا.

أشار المدير بسبَّابته، قائلاً:

ـ بالضبط.. على أن يتمّ هذا، بأقصى سرعة ممكنة، قبل أن يتوصَّل الإسرائيليون إلى البطاقة، ونخسر العملية كلها.

تساءل المساعد فى اهتمام قلق:

ـ هل تعتقد أنهم سينجحون فى انتزاع الحقيقة من (عماد) يا سيِّدى ؟! ..

انعقد حاجبا المدير ، وهو يجيب فى تحفُّظ :

ـ من يدرى ؟! الإسرائيليون لديهم وسائلهم الوحشية ، ورجلنا مصاب ، ولن يمكنه احتمال ما سيفعلونه به طويلاً .

قال المساعد الثانى فى حزم :

ـ (عماد) قد يموت ، ولكنه لن يمنحهم ما يريدونه قط .

أسرع المساعد الأوَّل يضيف :

ـ هذا لو عاد إلى الحياة .. أعنى لو استعاد وعيه أوَّلاً .

هزَّ المدير رأسه ، دون أن يعلِّق ، فتساءل المساعد الثانى فى حذر :

ـ هذه العملية تحتاج إلى تدخُّل محترف ، على درجة عالية من الخبرة والكفاءة والقوة .

قال المدير فى صرامة :

ـ كل أفرادنا محترفون .

تنحنح المساعد الأوَّل ، قائلاً :

ـ زميلى كان يقصد رجلاً بعينه يا سيِّدى .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يقول :

ـ أعلم هذا .. أعلم أنه يقصد (ن ـ ١) .

وصمت لحظة ، ثم كرَّر :

ـ أعلم هذا .

وفى هذه المرة ، خرجت كلماته حاملة قدرًا مدهشًا من الغموض ..

قدر هائل ..

وبلا حدود ..

* * *

« أين أنا ؟! .. » ..

غمغم (عماد) بالعبارة فى ضعف ، وهو يستعيد وعيه ، داخل حجرة العناية المركزة الخاصة ، فى قبو السفارة الإسرائيلية فى (روما) ، وشعر بآلام تنتشر فى جسده كله ، وهو يفتح عينيه فى صعوبة ، متمتمًا :

ـ ماذا حدث ؟! ..

كان المكان خاليًا تمامًا ، إلا من ممرضة شابة ، استغرقت فى النوم ، على مقعد بعيد ، وبدا وكأنها لم تشعر باستعادته لوعيه قط ..

ولثوان ، بلغت نصف الدقيقة تقريبًا ، ظل عقله مشتتًا مرهقًا ، ثم لم يلبث أن استوعب ما حوله تدريجيًا ..

وأدرك طبيعة المكان ..

وهويته ..

ففى أماكن مختلفة من الحجرة ، كانت هناك بعض

اللافتات واللوحات الإرشادية الصغيرة ، التى تحمل بعض التعليمات الطبية ..

وكانت كلها بلغتين ، لاثالث لهما ..

الإنجليزية ..

والعربية ..

وقفز سؤال كبير إلى رأسه ، مع وقوع بصره على اللوحات العربية ..

تُرى ماذا حدث ؟! ..

آخر مايذكره هو هبوطه بالمظلة ، من سطح مبنى (روتشيلد) ..

وظهور الهليكوبتر ..

والرصاصات ..

ثم انتهى كل شىء ..

ووفقًا للترتيب المنطقى ، وحتى للمنطق الأمنى

الطبيعى ، فالمفــترض أن يكــون الآن فــى قبضـــة الإسرائيليين ..

ولكن اللوحات فى المكان توحى بالعكس تمامًا ..

لقد عاد إلى (مصر) ..

لقد انقذوه ، وأعادوه إلى الوطن ..

صحيح أنه يشعر بآلام لاحصر لها ، فى صدره وظهره وعنقه ، إلا أنه هنا ..

فى (مصر) ..

« رباه !.. لقد استعدت وعيك .. »

هتفت الممرضة بالعبارة ، بلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة ، وهى تهبّ من مقعدها ، وتندفع نحوه ، بتلك الكمامة الطبية الواقية ، التى تخفى معظم وجهها ، مكملة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

ازدرد (عماد) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ أين أنا ؟!

نطقها بلهجته المصرية ، فى تهالك مرهق ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا ؛ للتشبُّث بوعيه ، فأجابته فى هدوء ، وعيناها الواسعتان السوداوان تحملان ضحكة كبيرة :

ـ أنت هنا فى حجرة العناية المركزة ، فى مستشفى القوات المسلحة فى (المعادى) .

غمغم فى لهفة :

ـ (المعادى) ؟! إذن نحن فى (مصر) !

أجابته فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

أسبل جفنيه ، متمتمًا فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

نطقها ودارت الدنيا كلها فى رأسه ، وانقضت سحابة سوداء قاتمة على عقله ، وبدا له صوت الممرضـة ، وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، وهى تقول :

ـ الرؤساء ينتظرون عودتك إلى وعيك هذه بفـارغ الصبر ، و ..

ولم يسمع باقى العبارة أبدًا ..

فدون سابق إنذار ، عاد إلى غيبوبته العميقة ..

ودفعة واحدة ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلت الممرضة تفحصه فى دقـة وحذر ، حتى تأكدت من أنه قد عاد حقًا إلى غيبوبته ، قبل أن تزيح الكمامة عن وجهها ، وتكشف إصـابتين فى جانبيه ، وهى تلتقط هاتفها المحمول ، وتضغط أزراره ، قائلة :

ـ أدون (شيمون) .. أنا (راشيل) .. خطتك العبقرية نجحت على نحو مدهش ، فى مرحلتها الأولى .

ثم رمقت (عماد) بنظرة مقت ، قبل أن تضيف فى حزم :

ـ إنه مصرى .

وهذه الكلمة أيضًا ، لم يسمعها (عماد) ..

لم يسمعها أبدًا ..

* * *

كان بالفعل اختبارًا ، كما قال (أشرف) ..

اختبارًا فى القوة ، والسرعة ، ورد الفعل أيضًا ..

ففى نفس اللحظة التى ضغط فيها (شـندلر) زنـاد مسدسه ، أو قبلها بنصف الثانية تقريبًا ، وعلى الرغم من عامل المفاجأة ، تحرك (أشرف) بسرعة مدهشة ، فوثب جانبًـا ، ودار حـول نفسـه بمهـارة ورشـاقة ومرونة ، ليركل الإسرائيلى فى صدره بكل قوته ..

وانطلقت رصاصة (شـندلر) ، لتمرق على مسافة

سنتيمتر واحد من رأس (منى)، فى نفس اللحظة التى ارتطم فيها جسده بالنافذة، مع قوة ركلة (أشرف)، وحطم زجاجها، ثم هوى، وهو يطلق صرخة رهيبة ..

صرخة انتهت، بعد ارتطام جسده بالشارع فى عنف ..

وعلى نحو ينافس الموتى، شحب وجه (جراهام)، وهو يهتف:

- لا .. لا .. الرحمة.

هزّت (منى) رأسها، قائلة:

- عجبًا لهؤلاء القوم .. يتصرفون كالأسود، إذا ما تصوَّروا أنهم أقوى ممن حولهم ..

ثم لكمت (جراهام) لكمة ساحقة، فى أسنانه مباشرة، مضيفة:

- ثم يتحولون إلى نعاج مذعورة، عندما يدركون الحقيقة.



ثم لكمت (جراهام) لكمة ساحقة فى أسنانه مباشرة، مضيفة:
- ثم يتحولون إلى نعاج مذعورة ..

ارتجَّ جسد (جراهام) فى عنف ، ووثبت واحدة من أسنانه الأمامية عبر شفتيه ، قبل أن يسقط على وجهه كالحجر ، عند قدمى (منى) تمامًا ..

وفى منزل المراقبة الإسرائيلى ، هتف (دونهام) مستنكرًا ، وهو يراقب ما حدث على الشاشة :

ـ أرأيت يا أدون (شيمون) ؟!..

هزّ (شيمون) رأسه ، قائلاً :

ـ أمر مؤسف بالفعل .

التفت إليه (دونهام) ، هاتفًا فى دهشة :

ـ لماذا تركته يحدث إذن ؟! ..

رمقه (شيمون) بنظرة ساخرة ، وهو يكمل ، وكأنه لم يسمعه :

ـ أمر مؤسف ألا يسقط (جراهام) الغبى ، بدلاً من (شندلر) المسكين .

اتسعت عينا (دونهام) فى دهشة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل ستترك المصريين يفلتون بفعلتهم هذه ؟!

نهض (شيمون) من مقعده ، قائلاً فى صرامة :

ـ لا تتصرّف بنفس الغباء والحماقة ، اللذين تصرّف بهما ذلك الحقير (جراهام) ، حتى لا يصبح مصيرك كمصيره .

ارتبك (دونهام) ، وهو يتمتم :

ـ أدون (شيمون) .. إننى ..

تجاهله (شيمون) تمامًا ، وهو يتابع بنفس الصرامة :

ـ كنت واثقًا من أن عقله المحدود لن يستوعب أوامرى ، وأنه سيسعى لمراقبة المصريين ، بالأسلوب التقليدى الوحيد ، الذى يجيده فى عمله .

تساءل (دونهام) فى حيرة :

ـ لماذا تركته يفعلها إذن ، على الرغم من أن هذا يفسد ما تسعى إليه عمليًا .

التقط (شيمون) نفسًا عميقًا ، وراقب شاشة الرصد بضع لحظات فى صمت ، متابعًا خروج (منى) و (أشرف) من المكان فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ فى المعتاد ، لا أميل لشرح أسلوب عملى للآخرين ، باعتبار أنه من العسير عليهم استيعابه ، ولكن حيرتك الواضحة ، ولهفتك المخلصة للمعرفة ، أقنعانى بضرورة خلق جيل جديد ، يؤمن بأسلوبى الفريد .

واعتدل ، مكملاً فى حزم :

ـ لقد تركت (جراهام) يخالف أوامرى لهدفين رئيسيين .. أولهما : إيهام المصريين بأن اللعبة تدور بالأسلوب التقليدى المحض ، بحيث تتناسب ردود أفعالهما معه ، دون أن يتصاعد تفكيرهم ، أو يسمو للأسلوب المبتكر ، الذى أدير به اللعبة هذه المرة .

سأله (دونهام) فى لهفة :

ـ وماذا عن الثانى ؟!

لوّح (شيمون) بيده ، قائلاً :

ـ الواقع أن المصريين طوّروا الهدف الثانى ، من حيث لم أتوقّع أبدًا ، فكل ما كنت أطمح إليه هو أن يبادر الرجل والمرأة بالفرار من منزلهما الآمن ، الذى توصلنا إليه بعبقرية ، إلى المنزل الاحتياطى ، الذى يصعب علينا فى المعتاد التوصّل إليه ، دون أن يدركوا أننا نلتصق بهم ، التصاقًا يصعب الفكاك منه ، ولكن الاثنين طوّرا الأمر إلى هجوم مباشر ، لا يعدّ تقليديًا أبدًا فى عالمنا ، واشتبكا مع ذلك الأحمق (جراهام) ومساعده ، ليلقى الأخير مصرعه ، وينال الأوّل ما يستحقه .

وتراقصت ابتسامة متشفية ، على ركن شفتيه ، وهو يضيف :

ـ وسيمنحنى هذا كل الحق ، فى استبعاده من العملية تمامًا ، وإعادته إلى (تل أبيب) .

تألقت عينا (دونهام) ، وهو يقول :

ـ هذا سيسعدنى بالتأكيد .

ثم عاد يسأل فى قلق :

ـ ولكن المصريين سيغادران مكمنهما الآن حتمًا .

ابتسم (شيمون) فى ثقة ، مجيبًا :

ـ بالضبط .

تردد (دونهام) بضع لحظات ، قبل أن يسأله فى حذر :

ـ أأنت واثق من أنهما لن يفلتا منا ؟!

أجابه (شيمون) فى حزم :

ـ تمام الثقة .

ثم همّ بشرح ما يعنيه ، عندما انطلق رنين هاتفه المحمول فجأة ، فالتقطه فى سرعة ، وألقى نظرة على شاشته ، قبل أن يضعه على أذنه ، قائلاً فى اهتمام شديد :

ـ إنها (راشيل) .

استمع إليها فى اهتمام ، وتألقت عيناه فى ظفر ، وهو يهتف :

ـ كنت واثقًا من هذا .. كنت واثقًا من أنه مصرى .

ثم تضاعف انفعاله ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ استدع الطاقم الطبى الخاص ، الذى أحضرناه من (تل أبيب) .. لا أريد كلمة واحدة عبرية ، وإلا فأقسم أن أنسف رأس من ينطقها .. أريده أن يقتنع ، دون أدنى بادرة من الشك ، عندما يستعيد وعيه مرة أخرى ، أنه فى (مصر) .. هل تفهمين ؟!

أنهى المحادثة ، والتفت إلى (دونهام) ، الذى هتف فى حماسة :

ـ هل نجحت الخطة ؟! هل تصوّر أنه فى (مصر) بالفعل ؟!

أجابه (شيمون) فى حزم :

ـ نعم .. ولكنه فقد وعيه مرة ثانية ، كما قال الأطباء ، وهذا يعنى أنه قد يعود إلى الوعى ، على نحو أكثر تركيزًا ، خلال ساعتين على الأكثر ، مما يحتم عودتى إلى السفارة مباشرة ؛ لإدارة العملية كلها من هناك ، أما أنت ، فستتولى أمر المصريين ، على أن تبلغنى بكل تطورات الموقف أولاً فأولاً .

أشار (دونهام) بإبهامه ، قائلاً :

ـ وماذا عن (جراهام) ؟!

ألقى (شيمون) نظرة على شاشة الرصد ، قبل أن يجيب :

ـ سقوط (شندلر) ، سيجعل المكان يكتظ برجال الشرطة الإيطالية بعد قليل ، وعندما يعثرون عليه ، سيخضعونه لاستجواب قاس ، مما سيزيد من تورُّطه فى الخطأ .

وصمت لحظة ، وهو يرتدى معطفه ، قبل أن يضيف بابتسامة شامتة :

ـ وهذا أفضل ما نسعى إليه .

اتسعت ابتسامة (دونهام) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيِّد (شيمون) .. بالتأكيد .

لم يجب (شيمون) العبارة ، وإنما اندفع يغادر المكان ، تاركًا (دونهام) خلفه ، وهو يخرج جهازًا صغيرًا من جيبه ؛ ليتابع به مهمته الرئيسية ..

مهمة إحكام السيطرة على المصريين ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« توقَّف هنا .. »

هتفت (منى) بالعبارة فجأة ، وهى تجلس داخل السيارة ، التى يقودها (أشرف) ، عبر شوارع (روما) ، فى طريقها إلى المنزل الآمن الاحتياطى ، فضغط رجل المخابرات فرامل السيارة بحركة آلية ، وتوقَّف بها إلى جوار الطريق ، متسائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

تراجعت فى مقعدها ، محاولة تركيز أفكارها ، وهى تسأله :

ـ هذه نفس السيارة ، التى ذهبنا بها إلى مبنى (روتشيلد) .. أليس كذلك ؟!

أجابها ، وهو يعتدل ليواجهها فى اهتمام :

ـ بلى .

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ هذا هو التفسير الوحيد إذن .

أطلّ تساؤل مخلص من عينيه ، فتابعت فى اهتمام وتركيز :

ـ أنت تؤكدّ أن أحدًا لم يتبعنا ، فى أثناء ذهابنا إلى ذلك المبنى ، أو العودة منه ، ولأنك محترف ، فليس هناك أدنى شك فى صحة هذا ، فكيف حددوا منزلنا الآمن إذن ؟!

غمغم :

ـ ربما كشفوا أمره مسبقًا .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ هذا غير وارد ؛ لأن المراقبة لم تبدأ ، إلا بعد عودتنا من مبنى (روتشيلد) ، وإلا لكشفنا أمرها قبل هذا .

سألها فى اهتمام :

ـ ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟!

لوّحت بيديها ، قائلة :

ـ دعنا نتخيّل الأحداث ، وفقًا لما لدينا من معطيات .. الإسرائيليون يعلمون أننا سنسعى لدراسة المنطقة ، التى وقع فيها حادث (عماد) ، بأية وسيلة ممكنة ، ولو أنهم بالذكاء الكافى ، فسيحيطون المكان بمراقبة دقيقة ومكثفة ، ومن المحتم أنهم قد رصدوا قدومنا فى هذه السيارة .

قال فى توتر :

ـ ولكننا قضينا بعض الوقت على سطح المبنى ، ولم يتصدّ لنا أى واحد منهم !

قالت فى سرعة :

ـ هذا بالضبط ما أثار شكوكى .. إنهم محترفون ، ويعلمون أننا سنسعى إلى المكان حتمًا ، وعلى الرغم من هذا فقد وصلنا إليه بمنتهى اليسر ، دون أن نحتاج حتى إلى استخدام بطاقات جريدة (هيرالد تريبيون) المزوَّرة ، ولم يعترضنا رجل أمن واحد ، فكيف يمكن أن يصبح هذا منطقيًا ، إلا إذا كانوا يفسحون لنا الطريق عمدًا .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ أتعنين أنهم يحاولون تجنيد جهودنا لحسابهم ؟!

أجابته فى حسم :

ـ بالضبط .. يتركوننا نبذل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى تلك البطاقة ، ثم ينقضون علينا فى اللحظة الأخيرة ؛ لانتزاعها منا ، والفوز بها .

غمغم :

ـ يا للأوغاد ! .

ثم استطرد فى سرعة :

ـ ولكنه التفسير المنطقى الوحيد بالفعل ، وهو يعنى أنهم قد حددوا سيارتنا ، عندما رصدوا وصولنا إلى مبنى (روتشيلد) ، و ...

تألَّقت عيناه ، وهو ينظر إلى عينيها مباشرة ، فهتفت :

ـ السيارة !

ودون كلمة إضافية واحدة ، غادر كلاهما السيارة ، وانطلقا مبتعدين عنها ، سيرًا على الأقدام ، لمائتى متر كاملة ، قبل أن يقول (أشرف) فى حزم :

ـ دعينا نتيقَّن أولاً من أن أحدًا لا يتبعنا ، قبل أن نتجه إلى المنزل الآمن الاحتياطى .

هزَّت رأسها ، قائلة :

ـ لن تجد من يتبعنا .. لن يجازفوا بهذا ، حتى لا نكشف أمرهم مرة ثانية .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى حزم صارم :

ـ لقد أداروا اللعبة باحتراف حقيقى ، وعلينا أن نثبت لهم أنه ، فى لعبة المحترفين ، لن ينتصر سوانا .

نطقتها ، وكل ذرة من عقلها وكيانها تهتف باسمه واحد ..

الاسم الذى احتل وجودها كله ، والذى تنشد باسمه كل نبضة فى قلبها ..

اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وبعيون جافة ، انهمرت الدموع فى أعماقها غزيرة ..

غزيرة إلى أقصى حد ..

دموع لم تحجب عنها الاسم الأكبر ، الذى لاتتردد لحظة فى بذل حياتها من أجله ..

اسم (مصر) ..

* * *

استبدل (شيمون) ثيابه فى سرعة ، داخل حجرته الخاصة ، فى السفارة الإسرائيلية ، وهو يسأل (راشيل) فى اهتمام :

ـ إذن فقد أقنعه ما صنعناه أنه فى (مصر) .

أجابته ، وهى تتحسس جرح وجهها فى بغض :

ـ تمام الإقناع .

سألها فى اهتمام ، وهو يرتدى حلة أنيقة :

ـ متى يتوقعون استعادته لوعيه ؟!

مطت شفتيها ، مجيبة :

ـ خلال ساعتين على الأكثر .

قال فى حزم :

ـ لابد أن يكون كل شىء معدًا عندئذ .

غمغمت :

ـ اطمئن .

رمقها بنظرة صارمة ، وهو يسألها :

ـ ماذا بك ؟! .. تبدين كما لو أن كل ما يحدث هنـا لا يروق لك .

أجابته فى سرعة :

ـ خطتك عبقرية يا أدون (شيمون) .

ثم مطّت شفتيها ، مستطردة :

ـ ولكنها غير مبتكرة .

لم ترق له عبارتها ، فقال فى صرامة :

ـ ربما استخدمت اللعبة نفسها ، من قبل النـازيين ، خلال الحرب العالمية الثانية ، لخداع عميل بريطانى ، وانتزاع معلومـات بالغة السرية والخطـورة منـه ، بإقناعه أن الحرب قد انتهت ، وأنه لم تعد هناك أهمية

لتلك المعلومات[*] ، ولكن الاستفادة من دروس التاريخ ليست ضعفًا ، بل هى عامل من عوامل القوة .

قالت فى ضيق واضح :

ـ عالمنا يعتمد على الابتكار .

أجابها فى صرامة :

ـ كثيرًا ما يكون استعادة التقليديات نوعًا من الابتكار ، فى عالم أصبح يتوقَّع الجديد دومًا .

عادت تمطّ شفتيها ، متمتمة :

ـ ربما .

رمقها بنظرة صارمة أخـرى ، قبل أن يسألها فى حدة :

ـ ماذا هنـاك بالضبط ؟! الخدعـة التى نعدها لذلك المصرى ، ليست السبب الحقيقى لغضبك هذا .

(*) عملية حقيقية .

تقاطر المقت من شفتيها ، وهى تقول :

ـ تلك المصرية .

انعقد حاجباه ، فتابعت فى حدة ثائرة ، وهى تشير إلى جرحى وجهها :

ـ لقد أفسدت وجهى تمامًا ، ولابد أن تدفع الثمن .

قال فى غضب :

ـ بدأت تتصرفين مثل ذلك الأحمق (جراهام) .

أشاحت بوجهها فى حنق ، فتابع فى صرامة :

ـ لكل شىء وقته .

لوّحت بيدها ، هاتفة :

ـ مادامت الخدعة قد أفلحت ، مع رجل المخابرات المصرى فى القبو ، فلايوجد مبرر واحد ، للإبقاء على حياة تلك المصرية .

قال فى صرامة :

ـ الخطة لم تحقق هدفها بعد ، والخدعة لن تكتمل ، حتى نحصل على ما نريد ، من ذلك المصرى فى القبو ، ونستعيد بطاقة التسجيل الرقمية بالفعل .

سألته فى سرعة :

ـ وعندئذ ؟!

أجابها بنفس السرعة ، دون أن يتخلّى عن صرامته :

ـ وعندئذ ، ستكون المصرية من نصيبك .

تهللت أساريرها ، على الرغم من المقت المطلّ من عينيها وصوتها ، وهى تقول :

ـ يكفينى هذا الوعد ، يا أدون (شيمون) .

قالتها ، وأسرعت تغادر المكان فى ارتياح وحشى ، فمطّ هو شفتيه هذه المرة ، وهو يقول فى مقت :

ـ غبية .

ثم عقد رباط عنقه ، مستطردًا :

ـ أمور عديدة تحتاج إلى إعادة تأهيل هنا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ، بنغمة خاصة ، جعلته يلتقطه فى لهفة ، مغمغمًا :

ـ ماذا تريد (تل أبيب) الآن ؟!

ضغط زر الاتصال ، وهو يسأل :

ـ (شيمون) .. هل من جديد ؟!

سمع صوت رئيسه فى (تل أبيب) ، يهتف به فى انفعال :

ـ اسمعنى جيدًا يا (شيمون) .. مصـادرنا أرسلت الآن معلومة ، غاية فى الأهمية والخطورة ، رأيت أن أبلغك بها فورًا ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

التقى حاجبا (شيمون) ، وهو يسأله فى توتر :

ـ أية معلومة تلك ؟!

وألقى إليه رئيسه المعلومة ..

وانعقد حاجباه (شيمون) بمنتهى الشدة والتوتر ..

فالمعلومة كانت بالفعل مهمة ..

مهمة وخطيرة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *



٤ـ الغمـوض ..

مطّ مفتش الشرطة الإيطالية (باولو) شفتيه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، داخل شقة المراقبة الإسرائيلية ، التى اشتبكت فيها (منى) وزميلها ، مع (جراهام) ومساعده ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أن المكان كان يُستخدم لمراقبة نافذة ما ، من نوافذ المبنى المقابل .

قال مساعده (مانيانى) ، وهو يشير إلى الأجهزة المنتشرة فى المكان :

ـ ليست مراقبة عادية ، فهذه الأشياء تساوى ثروة .

غمغم (باولو) :

ـ هذا صحيح .

فحص الأجهزة بدوره ، قبل أن يلتفت إلى أحد رجال الشرطة ، متسائلاً :

ـ هل استجوبتم الجيران ، وطاقم أمن المبنى ؟!

أجابه الرجل فى احترام :

ـ الجيران سمعوا المشاجرة ، وصوت طلق نارى ، ولكن أحدهم لم يحاول حتى الخروج من منزله ، خشية التعرُّض للأذى ، أما طاقم الأمن ، فلديهم الكثير بالفعل .

سأله فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

أجاب الرجل فى سرعة :

ـ لقد هوجم حارس المبنى الرئيسى ، من قبل مجهولين ، لم يرصدهم أحد من باقى الطاقم ، ولا يمكن تحديد عددهم بدقة ، ولكن من الواضح أنهم المسئولون عن هذا الهجوم .

تساءل (مانيانى) :

ـ أهذا كل شىء ؟!

ترددَ الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

- هناك أمر آخر ، ولكن ..

سأله (باولو) فى خشونة ، عندما لم يستطع الاستطراد :

- ولكن ماذا ؟!

هزّ الرجل رأسه ، قائلاً :

- أحد أفراد الطاقم ، قال : إنه ، فى أثناء إسراعه إلى هنا ، بعد دوى الطلق النارى ، التقى بكهل أشيب الشعر ، يحمل مصابًا على كتفه ، ويهرول به إلى المصعد ، وعندما التقى بالحارس ، هتف به أنه هناك مصابون آخرون ، يحتاجون إلى إسعاف عاجل .

تبادل (باولو) نظرة متوترة مع (مانيانى) ، قبل أن يقول الأخير ، فى صرامة قاسية خشنة :

- كهل يحمل رجلاً بالغًا على كتفه ، ويهرول به إلى المصعد ؟! ألا يبدو لك هذا أمرًا غير منطقى يا رجل ؟!

وافقه رجل الشرطة بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- إنه أمر غير منطقى بالفعل ، ولكن الحارس لم ينتبه إلى عدم منطقيته ، إلا بعد فوات الأوان ، وعندما عاد للبحث عن ذلك الكهل الزائف ، لم يعثر له على أدنى أثر :

تبادل (باولو) و (مانيانى) نظرة أخرى ، ثم قال الأوّل :

- وماذا عن ذلك المكان ، فى المبنى المقابل ؟! هل تم استجواب قاطنيه ؟!

هزّ رجل الشرطة رأسه قائلاً :

- لم نعثر على أى مخلوق هناك .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

- ولكننا وجدنا عدة أجهزة كهذه .

أطلّت الدهشة من عينى الرجلين ، قبل أن يغمغم (مانيانى) :

- إنه عمل من أعمال (المافيا) .

انعقد حاجبا (باولو) ، وهو يقول فى صرامة :

- بل يتجاوز هذا بكثير .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى توتر :

- الرجل الذى سقط من هنا ، يحمل جواز سفر إسرائيليًا .. جواز سفر دبلوماسيًا .. هل يمكنك أن تفهم ما يعنيه هذا ؟!

امتقع وجه (مانيانى) ، وهو يقول :

- رباه !.. هل تعتقد أن ..

قاطعه (باولو) فى حزم :

- نعم .. أعتقد هذا .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى حدة ، وهو يلوّح بذراعه كلها :

- هل تعتقد أن لعبة الكهل الزائف هذه ، من

أعمال (المافيا) ؟! خطأ يا رجل .. رجال (المافيا) قساة القلوب ، عنيفو النزعة ، ولكنهم يلجئون قط إلى التنكر ، أو اللعب بمثل هذا الإتقان ، إلا من الناحية القانونية فحسب ، التى يرعاها جيش من المحامين ، الذين نزعوا عنهم ضمائرهم ، قبل أن يرتدوا ثوب مهنتهم .. هذه العملية أكبر من هذا بكثير .. إنها حرب يا رجل .. حرب بين أجهزة مخابرات قوية ، أحدها حتمًا هو جهاز المخابرات الإسرائيلى ، الذى يبدو من الواضح أنه قد خسر معركته ، أو جولته هنا .

اندفع (مانيانى) يقول :

- جهاز المخابرات الآخر عربى إذن .

أومأ (باولو) برأسه موافقًا ، وقال فى حزم :

- ومصرى على الأرجح .

ثم عاد يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يضيف فى توتر صارم :

- السؤال الآن هو : من ذلك الكهل الزائف ؟ إلى أى جهاز ينتمى ؟! ومن ذلك الذى حمله من هنا ؟! من ؟!

ولم ينبس (مانياتى) ببنت شفة ..

فجواب كل هذه الأسئلة بدا له غامضًا ..

غامضًا للغاية ..

* * *

احتقن وجه (دافيد دونهام) فى شدة، وهو يوقف سيارته، خلف السيارة التى تركها (أشرف) و (منى)، ويلقى نظرة عليها، مغمغمًا فى توتر :

- لقد خدعانا .. كيف أبلغ أدون (شيمون) بهذا ؟!

تردد بضع لحظات، قبل أن يهبط من السيارة، ويتجه نحو سيارة (أشرف)، وراح يدور حولها بضع لحظات، وكأنما يرفض تصديق كونها خالية أمام عينيه، ثم لم يلبث أن كرر فى عصبية :

- لقد خدعانا .

انحنى يلتقط جهاز التتبُّع الدقيق، الذى لايزيد حجمه على حجم قرص دواء عادى، والذى تم إلصاقه خلسة، فى زاوية خفية من جسم سيارة (أشرف) و (منى)، ومطَّ شفتيه، مغمغمًا :

- كيف أبلغه أننا قد فقدنا أثره .

هزَّ رأسه مرتين، ثم أضاف فى مرارة :

- لن يتردد فى قتلى، بلا رحمة أو شفقة .

مع آخر حروف كلماته، ارتفع رنين هاتفه المحمول بغتة، فانتفض جسده كله فى عنف، قبل أن يلتقطه، ويلقى نظرة على شاشته، قائلاً بكل شحوب الدنيا وذعرها :

- إنه هو .

وعلى الرغم من شهرته بين أقرانه، بالشجاعة والقوة، إلا أنه شعر بأصابعه ترتجف حقًا، وهو يضغط زر الاتصال، قائلاً :

ـ أدون (شيمون) .. كنت على وشك ..

قاطعه (شيمون) فى توتر :

ـ (تل أبيب) أخبرتنى الآن ، بأمر خطير للغاية .

ازدرد (دونهام) لعابه فى صعوبة ، وهو يسأله فى تردُّد :

ـ أى أمر هذا ؟!

أجابه (شيمون) فى سرعة :

ـ (جيهان) .. زميلة (أدهم صبرى) ، التى كانت تعالج من إصابتها فى مستشفى دونا (كارولينا) فى (نيويورك) ، وصلت إلى (القاهرة) مساء أمس ، فى طائرة خاصة ، ملك شركة (أميجو صاندو) للإليكترونيات .

ازدرد (دونهام) لعابه مرة أخرى ، قبل أن يسأل فى حذر :

ـ وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

هتف به (شيمون) فى حدة :

ـ افهم يا رجل .. تلك الطائرة الخاصة توقَّفت فى (روما) لدقائق معدودة ، قبل أن تواصل رحلتها إلى (القاهرة) .

لم يستوعب (دونهام) الأمر ، فلاذ بالصمت ، والحيرة تملأ ملامحه ، فهتف به (شيمون) فى غضب :

ـ ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟!

ارتبك (دونهام) ، وهو يقول :

ـ أدون (شيمون) .. إننى ..

قاطعه (شيمون) ، وهو يهتف فى حدة :

ـ (أدهم صبرى) هنا أيها الغبى .

اتسعت عينا (دونهام) عن آخرهما ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ (أدهم صبرى) ؟! هنا ؟! ألم يلق مصرعه هناك ، فى مبنى دونا (كارولينا) فى (نيوويورك) ؟!

بدا صوت (شيمون) غاضبًا بشدة ، وهو يقول :

ـ هذا ما حاولوا إيهامنا به ، عبر خدعة ما .. خدعة متقنة ، إلى الحد الذى انطلت فيه علينا جميعًا .

هزَّ (دونهام) رأسه فى قوة ، وكأنما يعجز عن تصديق الخبر ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! هناك أمر لا أستطيع فهمه أو استيعابه يا أدون (شيمون) .. مصادرنا أكدت أن خلافًا عنيفًا قد نشب ، بين (أدهم صبرى) هذا ودونا (كارولينا) ، نتج عنه قتال عنيف ، داخل المبنى الرئيسى لها ، انتهى بحصار رجال دونا لرجل المخابرات المصرى ، فى مكتبها ، فى الطابق الثالث والستين ، و ...

قاطعه (شيمون) بنفس اللهجة :

ـ هناك نقاط مازالت غامضة .. ربما قرَّرت (كارولينا) الحفاظ على حياة (أدهم) لسبب أو آخر ، فلا يمكنك قط أن تستوعب طرق وأساليب تفكير النساء ، والإيطاليات على وجه الخصوص .

عاد (دونهام) يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ أهذا مجرَّد استنتاج يا أدون (شيمون) ، أم ...

قاطعه (شيمون) مرة أخرى فى صرامة :

ـ (تل أبيب) تؤكدُ صحة المعلومة ، من خلال عميل لها ، فى مطار (روما) ، أمكنه تعرُّف (أدهم) ، الذى دخل (إيطاليا) بجواز سفر أمريكى ، باسم (أميجو صاندو) ..

واستعاد صوته رنة الغضب ، وهو يضيف فى عصبية ، قلما حملتها لهجته :

ـ رجل المخابرات المصرى يتحدانا ، ويعبث بنا ، ويواجهنا بأوراق مكشوفة .

صمت (دونهام) تمامًا ، وعقله مازال يجاهد ، محاولاً استيعاب الموقف ، ثم لم يلبث أن سأل فى توتر :

ـ أدون (شيمون) .. وفقًا لهذه المعلومات ، يُفترض أن (أدهم صبرى) هذا هنا ، منذ ما يزيد على ست أو

سبع ساعات كاملة ، فكيف يمكن أن يظلّ ساكنًا ، طوال كل هذا الوقت ، وسط أحداث عنيفة كهذه ..

أجابه (شيمون) فى صرامة :

- بل هو هنا ، منذ ما يزيد على اثنتى عشرة ساعة يا رجل .

وقسا صوته على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- أى من قبل حتى أن تصل تلك المصرية إلى (روما) .

جفّ حلق (دونهام) ، وهو يقول :

- ماذا تريد أن تقول يا أدون (شيمون) ؟!

خيّل لـ (دونهام) أن موجات اللاسلكى الرقمية قد حملت صوت أفكار (شيمون) ، ممتزجًا بصوته الصارم ، وهو يقول :

- أريد أن أقول : إن ذلك المصرى محترف .. محترف حقيقى .

ثم سأل فجأة :

- أمازالت تحكم سيطرتك على المصريين ؟!

كان هذا هو السؤال ، الذى ترتجف له كل ذرة فى كيان (دونهام) مسبقًا ، لذا فقد شعر بجسده كله ينتفض مع سماعه ، واختنقت كلماته فى حلقه الجاف ، حتى لم يصدر منه سوى حشرجة عصبية ، جعلت (شيمون) يهتف فى غضب :

- لا تقل لى : إنك قد فقدت أثرهما .

بذل (دونهام) جهدًا خارقًا ؛ ليقول فى خفوت شاحب :

- لقد كشفا أمر جهاز التعقُّب ، وتخليا عن السيارة كلها يا أدون (شيمون) .

كان يتوقَّع ثورة غاضبة من رجل المخابرات الإسرائيلى ، لذا فقد بلغت دهشته ذروتها ، عندما سمعه يردِّد :

- يا للبراعة ! .. إنهم محترفون بحق .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وغمغم :

- أدون (شيمون) .. إننى لم أكن أملك سوى جهاز التتبع ، و ...

قاطعه (شيمون) فى حزم :

- فليكن .. أنا أعلم جيدًا أين نجدهما فيما بعد .. المهم أن تعود إلى السفارة فورًا ؛ لتمارس عملك الرسمى ، فى تأمينها وحمايتها ، وخاصة خلال الساعات القليلة القادمة ، التى ستشهد حسم العملية كلها ..

ولم ينطق (دونهام) بحرف واحد ..

ولكنه أدرك مدى خطورة تلك الساعات التالية ..

ساعات الخطر ..

والحسم ..

* * *

ارتسمت دهشة عارمة ، على وجه مساعد مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يقول ، فى لهجة حملت لمحة من الاستنكار :

- سيادة العميد (أدهم) هناك ؟! فى (روما) ؟! وكيف لم نعلم بهذا حتى الآن يا سيِّدى ؟!

أشار المدير بسبابته ، قائلاً فى حزم :

- من الواضح أن (ن - ١) كان يرغب فى كتمان الموقف إلى أقصى حد ، حتى يصل إلى (روما) .

قال المساعد الثانى ، فى شىء من الضيق :

- لم يكن من المفترض أن يسرى هذا الكتمان علينا يا سيِّدى ..

ابتسم المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- كلكم تعرفون (ن - ١) ، مثلما أعرفه تمامًا ، وإذا

كان هناك مايعنيه فى الوجود ، فهو (مصر) ، وأمن (مصر) ، وسلامة (مصر) .. وهو يعلم جيّدًا أن الموقف الدولى الحالى شديد الحساسية والتوتر ، منذ حادثة سبتمبر ، عام ألفين وواحد ، ولقد منحت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها صلاحيات غير قانونية وغير شرعية ، منذ ذلك الحين ، بحيث ألقت خلف ظهرها كل ماتنادى به ، من قواعد الديموقراطية والعدل والمساواة ، وراحت تتجسّس بوقاحة وعلانية ، على كل الاتصالات ، كما راحت تتبادل مع ربيبتها (إسرائيل) كل مالديها من معلومات ووثائق ، وصور أقمار صناعية .. وتلك الأوراق ، التى عثر عليها (عماد) ، والتقط صورها ، والتى تبحث عنها المخابرات الإسرائيلية فى استماتة ، هى السلاح الوحيد ، القادر على قلب الأوضاع العالمية رأسًا على عقب ، وكشف الخديعة الصهيونية الكبرى ، أمام العالم كله ، و (ن - ١) يعلم أنهم مستعدون لإفناء نصف العالم ، فى سبيل استعادة بطاقة تسجيل

الصور الرقمية ، أو محوها من الوجود ، وأنه لاسبيل لمنعهم من هذا ، سوى اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر ، بحيث لاينكشف السر ، حتى عبر الموجات اللاسلكية أو الرقمية ، فى ظل شبكة التنصّت الأمريكية الكبرى .

تبادل المساعدان نظرة ، أعلنت تفهُّمهما للموقف ، قبل أن يتساءل الأوّل فى اهتمام :

- كيف يتفق هذا مع وصول سيادة العميد (أدهم) إلى (روما) ، بجواز سفره الأمريكى ، على نحو سافر صريح .

عاد المدير يشير بسبّابته ، مجيبًا :

- هذا جزء من خطته .

لم يحاول مناقشة الخطة معهما ، وتفهُّماهما الموقف على الفور ، ولكن المساعد الثانى تساءل :

- ما لا أفهمه حقًّا ، هو لماذا تركت دونا (كارولينا)

سيادة العميد يرحل بسلام ، بعدما سيطر عليه رجالها ، فى الطابق الثالث والستين ، من مبناها الرئيسى فى (نيويورك) ؟

صمت المدير طويلاً هذه المرة ، قبل أن يلوّح بيده ، قائلاً :

- هذا ما سيخبرنا به (ن - ١) حتمًا ، بعد انتهاء عملية الأوراق الإسرائيلية المكشوفة .

وعاد إلى صمته لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :

- كما أتعشمْ .

ولم يلق المساعدان مزيدًا من الأسئلة ..

فالموضوع كله كان ، بالنسبة لهما ، مغلّفًا بالغموض ..

كل الغموض ..

* * *

ظل (شيمون) صامتًا ، لخمس دقائق كاملة أو يزيد ، وهو يتطلّع إلى (عماد) ، الغارق فى غيبوبته ، قبل أن يلتفت إلى الطبيب الجديد ، القادم من (تل أبيب) ، ويسأله بالعربية :

- متى سيعود إلى وعيه فى رأيك ؟!

أجابه الطبيب ، بلهجة مصرية خالصة :

- خلال ساعة على الأكثر .. هكذا تقول معدّلاته الحيوية .

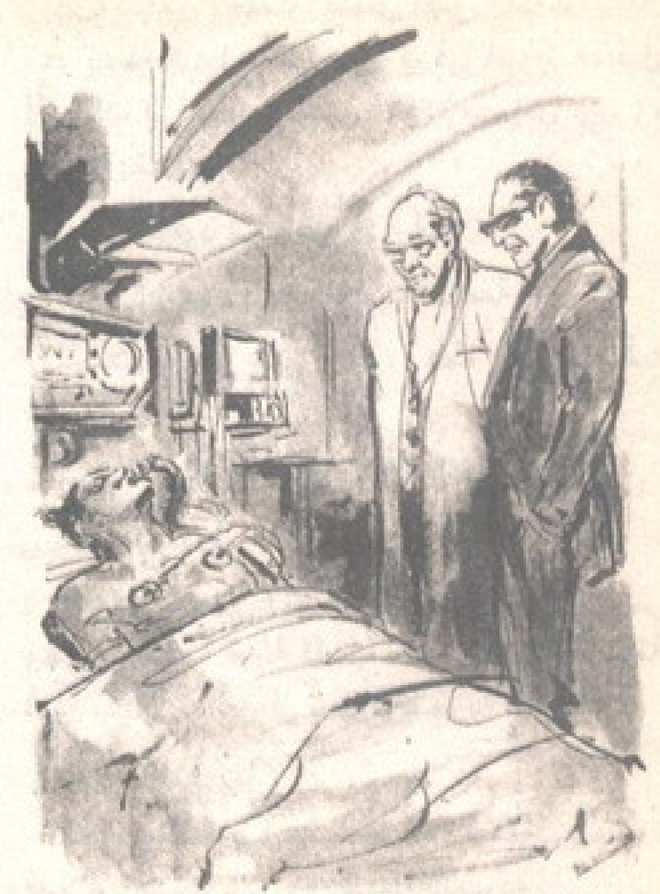
غمغمت (راشيل) ، فى مقت واضح :

- بعدها سأتولّى أمر المصرية ، و ...

قاطعها (شيمون) بالتفاتة سريعة ، ليهوى على وجهها بصفعة قوية قاسية ، جعلتها تطلق شهقة قوية مذعورة ، قبل أن تصرخ بالعبرية :

- كيف تجرؤ .

التقط مسدسه بسرعة مدهشة ، وألصقه بجبهتها ، قائلاً فى غضب هادر ، وباللهجة المصرية :



ظل (شيمون) صامتًا ، لخمس دقائق كاملة أو يزيد ، وهو يتطلع إلى (عماد) ، الغارق في غيبوبته ..

ـ غباؤك سينسف الأمر كله من الأساس .

هتفت في غضب :

ـ كنت أتحدث بالعربية كما أمرت .

قال في صرامة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، وكأنه يهم بإطلاق النار على رأسها بالفعل :

ـ ربما ، ولكن بأسلوب إسرائيلي بحت ، وهذا الراقد أمامك رجل مخابرات مصرى ، مما يعني أنه ليس ساذجًا أو محدود الذكاء والبراعة ، حتى وهو غارق في غيبوبته هذه ، أو لايكاد يخرج منها ، ومجرَّد الحديث بالعربية ، حتى ولو كان بلهجة مصرية خالصة ، لن يكفى لخداعه .. لابد أن يكون كل ما يحيط به مصريًا حتى النخاع .. اللوحات ، واللغة ، والأسلوب ، وحتى الأفكار .

وانعقد حاجباه في شدة ، وأطلّ الشرر من عينيه ، وهو يتابع :

ـ وكل خطأ ، مهما بدا تافهًا ، يمكن أن يعرّض العملية كلها للفشل ، وعندئذ ، لن أتردد لحظة ، فى نسف رأسك الغبى هذا .

ثم أعاد إبرة مسدسه إلى موضعها ، وهو يلتفت إلى طاقم الأطباء ، مضيفًا فى حدة :

ـ بل ونسف رءوسكم جميعًا .

ارتجف الأطباء الإسرائيليون ، وتمتم كبيرهم فى توتر :

ـ اطمئن يا سيّد (شيمون) .. اطمئن .. لقد تم اختيارنا بدقة ، لأننا نعود جميعًا إلى أصول يهودية مصرية ، وكلنا نتحدث باللهجة المصرية فى طلاقة .

استدار إليه (شيمون) ، ولوّح بمسدسه فى وجهه ، قائلاً :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد خاطبتنى باسم (شيمون) .. أليس كذلك ؟!

ارتجف الطبيب أكثر ، وهو يقول :

ـ كان مجرّد خطأ يا سيّدى .. مجرّد خطأ .

سأله (شيمون) فى غلظة :

ـ ما اسمى إذن ؟!

ازدرد المسكين لعابه فى صعوبة ، وأجاب بصوت خشن ، عبر حلقه الجاف :

ـ السيّد (عبد الرحمن) .. مندوب رياسة الجمهورية .

لوّح (شيمون) بمسدسه فى وجهه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ عظيم .. حذار أن تنسى هذا لحظة واحدة .

« اطمئن .. لن ينسى أحدهم ، ماداموا سيذكرون فوهة مسدسك .. » ..

انطلقت العبارة بالعبرية ، فى سخرية عصبية ، جعلت (شيمون) يلتفت إلى مصدرها فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ إذن فقد عدت يا (جراهام) .

بدا (جراهام) غاضبًا بشدة ، والضمادات تخفى نصف وجهه ، وهو يقول بالعبرية :

ـ نعم .. عدت يا أدون (شيمون) ، لأشهد بنفسى لعبتك ، التى يصفونها بالعبقرية .

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو [illegible] فى صرامة ، وباللهجة المصرية :

ـ مادامـوا قد أخبروك بأمرها ، فمن المؤكد أنك تعلم أنه من المحظور أن تتحدث بالعبرية هنا .

قال (جراهام) بالعربية :

ـ إننى أتحدث المصرية أفضل منك ، يا عزيزى شـ .. أقصد (عبد الرحمن) .

تطلّع (شيمون) بضع لحظات إلى الضمادات ، التى تخفى نصف وجه (جراهام) ، وتسلّلت إلى أعماقه لمحة من الشك ، هم بتحويلها إلى كلمات مسموعة ،

لولا أن ظهر (دونهام) فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى توتر :

ـ رجال الشرطة الإيطالية هنا .

التفت إليه (شيمون) بحركة حادة ، متسائلاً :

ـ ماذا يريدون ؟!

أجابه (دونهام) فى سرعة :

ـ (شندلر) كان يحمل جواز سفر دبلوماسيًا ، ورجال الشرطة الإيطالية يجرون تحرياتهم حول مصرعه ، ولديهم تصريح من وزير الخارجية الإيطالى ، و ...

قاطعه (شيمون) فى صرامة :

ـ هل أبلغت السفير ؟!

هزّ (دونهام) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول فى حذر :

- إنهم لم يطلبوا مقابلة السفير ، وإنما طلبوا مقابلة المسئول هنا ، و ..

لم يستطع إكمال عبارته ، ولكن الجميع فهموا مايعنيه ، فأعاد (شيمون) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول :

- سأذهب لمقابلتهم .

ثم التفت إلى (جراهام) ، قائلاً فى صرامة :

- ابق خارج حجرة الغاية المركزة ، ولاتتدخل فى الأمر ، بأى حال من الأحوال ، وإلا ..

قال (جراهام) فى سرعة وصرامة :

- لن أتدخل .

رمقه (شيمون) بنظرة صارمة ، ثم اندفع خارجًا ، لمقابلة رجال الشرطة الإيطالية ، فالتمعت عينا (جراهام) ، وهو يغمغم مكملاً :

- إلا فى الوقت المناسب ..

لحظتها بدا غامضًا ..

ومبهمًا ..

للغاية ..

* * *



٥ ـ من ؟!

تطلّع (أشرف) فى إعجاب إلى (منى) ، التى بدت فاتنة بحق ، مع ذلك الشعر الأسود المستعار الطويل ، الذى ينسدل ناعمًا فاحمًا ، حتى منتصف ظهرها ، وتلكما العدستين الخضراوين ، اللتين جعلتا ملامحها أقرب إلى الإيطاليات ، وهى تستند إلى دراجة آلية قوية ، على مسافة مائة متر من السفارة الإسرائيلية فى (روما) ، وقال فى خفوت :

ـ تفكير عبقرى يا سيادة المقدّم .. عودتنا لمراقبة سيارتنا ، التى دسّوا فيها الجهاز ، كانت خطوة بارعة بحق ، فقد رصدنا ذلك الإسرائيلى ، وهو يدور حولها ، ويلتقط منها جهاز التتبّع ، ثم تبعناه إلى هنا .

غمغمت (منى) :

ـ كان ينبغى أن أتوقّع هذا .

ثم التفتت إليه ، مستطردة :

ـ الإسرائيليون يحتفظون برجلنا هنا حتمًا ، فى قبو سفارتهم ، الذى يحوى قسمًا طبيًا خاصًا للطوارىء .

سألها فى اهتمام :

ـ أأنت واثقة ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ فى عملنا ، لايمكنك أن تثق بشىء ما ثقة مطلقة ، ما لم تكن لديك أدلة يقينية على وجوده ، ولكن الشواهد كلها ترجّح ما أقول ، وكذلك قواعد المنطق ، فالسفارة ، وفقًا للقوانين الدولية ، أرض إسرائيلية ، فى قلب (روما) ، وهذا يجعلها أكثر المناطق الآمنة ، فى (إيطاليا) كلها ، لإخفاء أسير مصاب ، ومنحه الرعاية الطبية الكاملة ، حتى يستعيد وعيه ، ويدلى بما لديه ، دون أن تدس الشرطة الإيطالية أنفها فى الأمر ، أو يتدخّل أحد السياسيين

المعارضين .. والأهم أن وجوده داخل أسوار السفارة يمنحهم كل الحق فى الدفاع عن أنفسهم ، بكل الوسائل الممكنة فى الداخل ، كما يمنع أى مخلوق ، مهما بلغت سلطته ، من تفتيش المكان ، أو اتخاذ أية إجراءات جنائية داخله .

أومأ برأسه ، وبدا عليه الإعجاب ، وهو يقول :

ـ تحليل منطقى للغاية .

ثم استدرك فى اهتمام :

ـ السؤال هو : ما الخطوة التالية ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ لابد أن نجد وسيلة ما ؛ لدخول مبنى السفارة الإسرائيلية .

قال فى سرعة :

ـ هذا ليس بالأمر الهين .

أجابته بنفس السرعة :

ـ وليس بالأمر المستحيل أيضًا .

وانطلقت من أعمق أعماق صدرها تنهيدة حارة ، حملت كل لوعة قلبها ، وهى تستعيد كلمات (أدهم) ، مستطردة :

ـ لا يوجد جهاز أمنى ، مهما بلغ إحكامه ، يخلو من ثغرة ما ، فى مكان ما .. ثغرة ينبغى أن تبحث عنها ، وتبذل فى سبيلها كل الجهد ، حتى يمكنك أن تنفذ منها ، عبر جدار المستحيل .

تطلّع إليها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يغمغم :

ـ رائع .

أدهشها قوله ، وأعاد إليها شعورها بأنوثتها بغتة ، فتمتمت فى شىء من العصبية :

ـ ماذا هناك ؟!

ابتسم ، وهو يقول :

ـ الواقع أن ما يحدث يدهشنى ، ويثير إعجابى فى الوقت ذاته ، يا سيادة المقدّم .

سألته فى توتر حذر :

- ولماذا ؟!

هزّ كتفيه مجيبًا :

- كنت أتصورّ أنك قد اعتدت العمل ، إلى جوار سيادة العميد (أدهم) ، حتى إنـه ليس باستطاعتك مواجهة الأمـور وحدك ، ولكن الساعات القليلة الماضية ، أثبتت العكس تمامًا .

عاودها حزنها ، وهى تقول فى خفوت :

- العمل معه له طعم آخر .

أجاب فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم استعاد ابتسامته ، مضيفًا :

- أراهن على أن هذا رأيه أيضًا .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، على الرغم منها ، وهى تقول فى حزن غامر :

- كان رأيه .

واصل التطلّع إليها فى صمت ، فهزت رأسها ، قائلة ، وقد أزاحت حزنها العارم ، واستدعت حزم العمل :

- على أية حال ، لدينا وسيلة مباشرة ، لدخول السفارة الإسرائيلية ، من بابها الرئيسى ، لدراسة حالة الأمن داخلها الآن .

سألها فى اهتمام :

- وكيف هذا ؟!

التقطت من جيبها جواز سفر إيطاليًا ، يحمل صورتها ، بهيئتها الجديدة ، وهى تجيب فى حزم :

- صديقنا (قدرى) يمتلك أصابع ذهبية ، قادرة على صنع المعجزات ، وجواز السفر الإيطالى هذا واحد من تحفه الفنية ، التى ستتيح لى دخول السفارة الإسرائيلية ، بطلب رسمى ؛ للحصول على تأشيرة سياحية إلى (إسرائيل) .

صمت لحظة ، قبل أن يسألها :

ـ وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟! المفترض أننا نحفظ نظم الأمن داخل السفارة الإسرائيلية ، عن ظهر قلب !

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ بالضبط ، وهذا يعني أنه باستطاعتنا تحديد أي تشدُّد واضح ، في نظم وأحوال الأمن هناك ، ممايمكن اعتباره دليلاً على وجود شيء خطير ، يحاولون إحكام السيطرة عليه .

عاد الإعجاب يطلّ من عينيه ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

وصمت وهلة ، ثم سألها في هدوء :

ـ هل سنذهب معًا ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ بل سأذهب وحدي ؛ فالأفضل أن يبقى أحدنا في الخارج مستعدًا ..

واتجهت نحو السفارة الإسرائيلية ، مضيفة في حزم :

ـ وحرًا .

تابعها ببصره وابتسامته ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد .. بالتأكيد يا سيادة المقدّم .

ثم التقط هاتفه المحمول ، مستطردًا ، دون أن يرفع عينيه عنها :

ـ ولكنني أظن أنك بحاجة إلى بعض الدعم .. المعنوي .

لم تسمع (منى) عبارتيه الأخيرتين ، وهي تقترب من مبنى السفارة الإسرائيلية ، وتقدّمت من موظف أمن البوّابة ، قائلة بالإيطالية :

ـ أريد الحصول على تأشيرة سياحية إلى (إسرائيل) .

لم يبد الموظف ترحابًا ، وهو يتناول منها جواز سفرها ، ويلقي نظرة عليه ، قائلاً في شيء من الصرامة :

ـ أظنك ستنتظرين بعض الوقت ياسيدتى ؛ فالمسئولون لديهم بعض العمل العاجل الآن .

ألقت نظرة على سيارة الشرطة الإيطالية ، التى تقف أمام السفارة ، قبل أن تقول فى هدوء :

ـ سأنتظر .

لاحظت ، وهى تعبر حديقة السفارة ، إجراءات الأمن المشدَّدة ، ونظرات الحذر والشك ، التى يرمقها بها كل مسئولى الأمن ، وزيادة عددهم على نحو ملحوظ ، فتمتمت :

ـ إنه هنا .

لم تكد تنطقها ، حتى سمعت رنينًا قصيرًا محدودًا ، ينبعث من هاتفها المحمول ، معلنًا استقباله لرسالة رقمية ، فالتقطته بسرعة ، وألقت نظرة على شاشته ، وهى تضغط زر إظهار الرسائل الجديدة ، و ..

« رائع يا عزيزتى .. كنت أعلم أنك قادرة على فعلها بدونى .. ا . ص . »

وانتفضت كل ذرة فى كيانها ، وهى تحدق فى الرسالة ، التى حملت توقيعه ..

وصرخ قلبها بصرخة فرح قوية ، لم يسمعها سواها ..

إنه حى ..

حى ..

ليس هذا فحسب ، ولكنه هنا أيضًا ..

فى مكان ما حولها ..

يراقبها ..

ويتابعها .. ويشجِّعها ..

راودتها رغبة عارمة ، فى أن تتلفت حولها ؛ بحثًا عنه ..

ولكنها لم تفعل ..

لقد سيطرت على مشاعرها بإرادة فولاذية ؛ حتى لا يلمح رجال أمن السفارة الإسرائيلية انفعالها ، مع حالة الشك والترقُّب ، التى يعيشونها الآن ..

فقط ضغطت أزرار هاتفها فى سرعة ، محاولة معرفة رقم الهاتف ، الذى أرسل إليها هذه الرسالة ..

ولكنها لم تجد شيئًا ..

يا لحذره !

حتى رسالته ، أرسلها عبر هاتف مؤمّن ..

ولكن الرسالة نفسها تعنى أنه قريب ..

قريب جدًا ..

أين هو إذن ؟!

بل من هو ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يتقبل المفتش (باولو) ، قائلاً فى برود :

ـ هل لى أن أعرف سر هذه الزيارة ، غير المألوفة فى عالم الدبلوماسية ؟!

قال (باولو) فى شىء من الصرامة :

ـ لا صلة لزيارتنا بالدبلوماسية وتعقيداتها .. إننا هنا بسبب مصرع أحد رجالكم .. كان يحمل جواز سفر دبلوماسيًا إسرائيليًا ، فرأينا أنه من الأرجح أن ..

قاطعه (شيمون) بنفس البرود :

ـ لقد بلغنا الخبر .. أشكرك .

سأله (باولو) :

ـ أهو أحد العاملين بالسفارة ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ كلاّ .

رمقه (باولو) بنظرة شك ، وهو يقول :

ـ كيف يحمل جوازًا دبلوماسيًا إذن ؟!

التقط (شيمون) نفسًا عميقًا ، وهو يجيب فى ضجر :

ـ إنه موظف فى وزارة الخارجية الإسرائيلية .. كلاهما موظف فى وزارة الخارجية الإسرائيلية .

انعقد حاجبا (باولو) ، وهو يقول :

ـ كلاهما ؟!

أجابه (شيمون) وقد تضاعف ضجره :

ـ نعم .. ذلك الذى سقط من المبنى ، والآخر الذى أصيب وفقد الوعى داخله ، و ..

قاطعه (باولو) ، وهو يهتف :

ـ آه .. أتقصد المصاب ، الذى اختطفه ذلك الكهل الزائف ؟!

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يسأله فى حذر :

ـ مصاب .. اختطاف .. كهل زائف ؟! قل لى أيها المفتش : ما الذى تعنيه بكل هذا بالضبط .

قصّ عليه المفتش (باولو) كل ما قاله رجال أمن المبنى ، الذى سقط منه (شندلر) ، وازداد انعقاد حاجبى (شيمون) بشدة وتوتر ، وهو يستمع إليه فى انتباه تام ، وعقله يرسم مجموعة من الصور المتتابعة السريعة ..

(منى) تحطم أنف وفك (جراهام) ..

كهل غامض زائف ، يختطف (جراهام) قبل وصول رجال الشرطة الإيطالية ..

(جراهام) يعود إلى السفارة ، بضمادات تخفى نصف وجهه ، دون أن يشير مجرد إشارة لخروجه الغامض من المكان ..

(أدهم) فى (روما) ..

(أدهم) هنا ..

هنا ..

ثم استعاد ذهنه صورة محدودة ..

صورة (منى) ..

وبسرعة البرق ، استعرض صورتها ، مع كل المختزن فى ذهنه ..

وتألقت عيناه على نحو وحشى ..

إنها هى ..

زميلة (أدهم) الأثيرة ..

هى التى حطمت أنف وفك (جراهام) ..

(جراهام) ..

امتلأ ذهنه كله بصورة (جرهام) والضمادات تخفى نصف وجهه ..

وبكل غضب الدنيا ، هتف :

- إنه هو .. تساءل المفتش (باولو) فى حذر ، عندما عجز عن فهم الهتاف ، الذى ألقاه (شيمون) بالعبرية :

- ماذا ؟!

دفعه (شيمون) أمامه فجأة ، وهو يقول فى صرامة متوترة :

- معذرة أيها المفتش .. لدينا أمور عاجلة وخطيرة ، تحتم عدم وجود أى غرباء ، داخل المبنى الإدارى للسفارة .

هتف المفتش (باولو) معترضًا :

- ولكن ..

قاطعه (شيمون) فى شراسة ، وهو يدفعه عنوة خارج المكان :

- لا يوجد لكن .. قلت لك : إنه أمر عاجل وخطير .. للغاية .

أغلق الباب فى قوة وراء المفتش ، ثم التقط هاتفه المحمول ، وضغط أزراره فى سرعة ، وهو يقول :

- (دونهام) .. أخرج كل الأجانب من المكان ، وأغلق أبواب السفارة فى إحكام .

سأله (دونهام) ، وقد فجّرت الأوامر الصارمة فيضًا من الانفعالات ، فى أعمق أعماقه :

- ماذا هناك يا أدون (شيمون) ؟!

هتف (شيمون) ، بكل انفعال الدنيا :

- (أدهم) هنا يا رجل .. (أدهم صبرى) هنا .

صاح (دونهام) ، وقد شمله الانفعال :

- فلنلق القبض على كل الأجانب إذن .

هتف (شيمون) فى حدة :

- كلاً أيها الغبى .. إنه ليس هنا باعتباره أحد الأجانب .. إنه واحد منا .. واحد من الإسرائيليين فى السفارة .

سأله (دونهام) وقد جف حلقه انفعالاً :

- واحد منا ؟! من هو يا أدون (شيمون) ؟! من هو ؟!

زمجر (شيمون) ، وهو يقول فى صرامة :

- اسمعنى جيدًا أولاً .. إننا لانواجه شخصًا عاديًا ، بل نواجه محترفًا ، على أعلى مستوى من الاحتراف ، وينبغى أن نتعامل معه ، بما يتناسب مع مستواه ، حتى ولو كان داخل أسوار سفارتنا ، ومحاطًا برجالنا ..

سأله (دونهام) بمنتهى الانتباه :

- بم تأمر يا أدون (شيمون) ؟!

أجابه رجل المخابرات الإسرائيلى فى حزم :

- عملية إخلاء السفارة من الأجانب ، ينبغى أن تتم بمنتهى الهدوء والسرعة ، وبحجة منطقية تمامًا ، وبأسلوب شديد التهذيب ، ولنقل مثلاً إن أجهزة الكمبيوتر قد تعطلت ؛ بسبب عيب فى الشبكة الرئيسية ، وأن العمل سيتوقف مؤقتًا ، وفى الوقت ذاته ، أريد محاصرة مبنى السفارة ، وقبوها بالتحديد ، ووضع حراسة مكثفة حول حجرة العناية المركزة ، بحيث لا يمكن أن تغادرها بعوضة ، دون أن نسمح لها بهذا ..

قال (دونهام) فى حماسة :

- كل شىء سيسير كما أمرت يا أدون (شيمون) .

ثم استطرد فى سرعة :

- فقط أريد أن أعرف : من منا (أدهم صبرى) ؟!

أجابه (شيمون) بكل صرامة الدنيا ، وهو يسحب مسدسه من غمده ، ويسحب مشطه فى قوة ، ثم يفلته ، ليرتدّ بصوت معدنى حاد ، مع قوله :

-خصمى وخصمك يا (دونهام) .. الرجل الذى تصوُّر نفسه عبقريًا ، وتصوُّرنا من الغباء ، بحيث تكفى مجموعة من الضمادات لإخفاء وجهه ، وخداعنا جميعًا .

وقسا صوته على نحو عنيف ، وهو يضيف ، بكل غضب الدنيا :

- (جراهام) .. (أدهم صبرى) ينتحل شخصية (جراهام) .

صمت (دونهام) لحظة ، ثم قال فى انفعال حقيقى :

- هذا يضاعف من متعة إسقاطه .

أجابه (شيمون) ، قبل أن ينهى المحادثة :

- المهم أن يتمّ الأمر بسرعة ودقة وذكاء .

دس مسدسه مرة أخرى فى غمده ، وأعاد هاتفه المحمول إلى جيبه ، وهو يقول فى حزم صارم شرس :

- فليكن يا (أدهم) .. لقد أتيت بقدميك إلى هنا ، ونجحت فى دخول سفارتنا ، تحت سمعنا وأبصارنا ، ولكن الدخول لم يكن أبدًا مشكلة ،

واندفع خارج المكان ، وهو يضيف بلهجة رجل ، تحفزت كل حواسه للقتال :

- المهم الخروج .

وكان على حق تمامًا ، فى كل حرف نطق به ..

المشكلة لم تكن أبدًا فى دخول (أدهم) ، إلى قلب السفارة الإسرائيلية فى (روما) ..

المهم هو نجاحه فى الخروج منها ..

على قيد الحياة ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التى بدأت فيها عملية إخلاء السفارة الإسرائيلية من الأجانب ، أدركت (منى) أن (أدهم) هناك ..

فى الداخل ..



وفور خروجها من المكان ، اندفعت نحو الموقع ، الذى تركت فيه (أشرف) ، مع الدراجتين البخاريتين ..

وعلى الرغم من أنها قد انصاعت ـ مظهريًا ـ لعملية إخلاء السفارة ، إلا أن كل ذرة فى كيانها كانت ترتجف ، على نحو لم تشعر به من قبل قط ، من فرط الانفعال والإثارة ..

وفور خروجها من المكان ، اندفعت نحو الموقع ، الذى تركت فيه (أشرف) ، مع الدراجتين البخاريتين ، وهى تقول :

ـ فليقطع ذراعى ، إن لم يكن (أدهم) بالداخل .

سألها فى اهتمام :

ـ ومن أدراك ؟!

قالت ، وهى تلهث ، من فرط الانفعال :

ـ استحكامات الأمن الشديدة هذه .. إنهم لن يفعلوا هذا ، إلا إذا كان هناك خطر داهم ، يواجههم داخل أسوار المكان وتألقت عيناها ، وهى تضيف :

ـ ولا يوجد خطر على الإسرائيليين ، يفوق (أدهم صبرى) .

ابتسم ، مرددًا :

ـ صدقت .

ثم سألها فى سرعة :

ـ ماذا تقترحين الآن ؟!

أجابته فى حسم :

ـ لو أن (أدهم) فى الداخل كما أتوقع ، فكل مايمكننا فعله هو أن ننتظر ، وأن نتأهب للتدخُل ، فى أية لحظة .

أشار بسبابته ، قائلاً :

ـ إنهم يغلقون أبواب السفارة فى إحكام ، والحراس المسلحون ينتشرون فى كل مكان .

كرّرت فى حزم :

لابد أن نستعد للتدخُل ، فى أية لحظة .

سألها بابتسامة خبيثة :

ـ حتى لو اقتحمنا المكان ؟!

أجابته فى صرامة أكثر حزمًا :

ـ حتى لو أشعلنا النار فى (روما) كلها ، كما فعل (نيرون)(*).

قال فى هدوء :

ـ (نيرون) كان مجنونًا عندما فعلها .

لوّحت بيدها ، مجيبة :

ـ وأنا سأصبح أكثر جنونًا منه ، لو مسّ هؤلاء الأوغاد شعرة واحدة ، من رأس (أدهم) .

ابتسم (أشرف) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ محظوظ هو ، سيادة العميد (أدهم) .

رمقته بنظرة صارمة ، ثم أدارت عينيها إلى مبنى السفارة الإسرائيلية ، وعقلها كله يفكر فى أمر واحد .

(*) (كلاوديوس قيصر نيرون) : (٣٧ ـ ٦٨م) : قائد رومانى ، فى حرب اليونية الثانية ، اتسمت تصرفاته بتلك الوحشية ، التى جعلته مضربًا للأمثال ، فقد قتل أمه ، ثم زوجته (أوكتافيا) ، وينسب إليه حريق روما الكبير (٦٤م) .

تُرى من منهم (أدهم صبرى) ؟!

وكيف سيواجه كل هؤلاء ؟!

كيف ؟!

وبقى السؤال ينهش عقلها ..

عقلها ، وقلبها معًا ..

بلا هوادة ..

أو رحمة ..

أو جواب ..

أى جواب ..

* * *

فى هدوء شديد ، وبلا أية انفعالات ظاهرية على الإطلاق ، تقدَّم (شيمون) من (جراهام) ، الذى وقف يراقب ما يحدث داخل حجرة العناية المركزة ، فى قبو مبنى السفارة الإسرائيلية ، بمنتهى الاهتمام والانتباه ، وما إن أصبح إلى جواره ، حتى قال ، وكأنه منشغل

بدوره بمراقبة الحجرة ، عبر نافذة من الزجاج مزدوج الانعكاس :

ـ سيستعيد وعيه بعد قليل .

التفت إليه (جراهام) ، مغمغمًا فى شىء من التوتر ، يتناسب تمامًا مع شخصيته :

ـ نعم .. الأطباء أكَّدوا هذا .

ثم عاد يلتفت إلى الحجرة ، عبر الزجاج ، الذى يسمح له بمتابعة ما يدور داخلها ، فى حين يبدو من الجانب الآخر ، أشبه بمرآة عاكسة ، مستطردًا :

ـ ولكننى أعترف بأنها خدعة متقنة .

رمقه (شيمون) بنظرة حذرة ، وهو يتحسَّس مسدسه ، متسائلاً :

ـ هل راقت لك ؟!

أومأ (جراهام) برأسه ، قائلاً :

ـ إنها عبقرية بحق ، فذلك العميل مصاب ، وفاقد الوعى ، منذ بداية العملية ، وعندما يستيقظ ليجد

نفسه فى مناخ مُصرى ، ومحاطًا بأطباء مصريين ، سيتصورُ أنه قد عاد إلى وطنه ، ولو تقدَّم إليه من يقنعه بأنه مندوب للمخابرات العامة ، فمن المحتمل جدًا أن يدلى بما لديه ، بمنتهى الثقة والهدوء ، باعتبار أنه إنما يخبر زملاءه بما يحتاجون إلى معرفته .

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يسحب مسدسه فى حذر ، قائلاً :

- عجبًا ! هل أدركت كل هذا وحدك ؟!

قال (جراهام) ، فى شيء من الصرامة :

- الأمر لايحتاج إلى الكثير من الذكاء يا أدون (شيمون) .

قال (شيمون) فى حدة :

- ولكننى لم أعهدك حاد الذكاء .

ابتسم (جراهام) فى سخرية ، وقال : دون أن يلتفت إليه :

- ربما تضاعف ذكائى ، مع قدومك من (تل أبيب) .

ازداد انعقاد حاجبى (شيمون) فى شدة ، وقد بدت له تلك السخرية متناقضة تمامًا ، مع شخصية (جراهام) التى يعرفها ..

ولكنها تتفق تمامًا مع شخصية أخرى ..

شخصية جعلته يواصل سحب مسدسه ، فى حذر متناه ، وهو يسأله فى صرامة ، حمل الكثير من توتره وانفعاله :

- قل لى يا (جراهام) : كيف نجوت من رجال الشرطة ؟!

هزَّ (جراهام) رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى .. لقد هاجمتنى تلك المصرية ، وأفقدتنى الوعى ، ثم استيقظت لأجد نفسى داخل سيارتى ، على مسافة عشرين مترًا من المبنى .

والتفت إلى (شيمون) ، بوجهه الذى تُغطى الضمادات نصفه ، وهو يكمل :

- والتفسير الوحيد هى أنها وزميلها قد أخرجانى من هناك ، حتى لا يحدث احتكاك بينى وبين رجال الشرطة ، يمكن أن يتطوّر ليكشف أمرهما .

قال (شيمون) فى صرامة :

- ولكن هذا لم يحدث .

سأله (جراهام) فى توتر :

- وكيف عرفت هذا ؟!

تجاهل (شيمون) السؤال تمامًا ، وهو يسأله فى صرامة :

- قل لى أنت يا (جراهام) : لماذا يبدو صوتك مختلفًا عن طبيعته إلى حد ما ؟!

أشار (جراهام) إلى فمه ، وهو يقول فى حدة :

- لأننى فقدت اثنتين من أسنانى الأمامية .. ألا يبدو هذا واضحًا ؟!

حاول (شيمون) أن يبتسم ، وهو يقول :

- بل يبدو واضحًا .. وربما أكثر مما ينبغى .

مع آخر حروف كلماته ، هتف كبير طاقم الأطباء ، وهو يلتزم باللهجة المصرية الخالصة :

- سيستعيد وعيه بعد قليل .

استدار (جراهام) فى حركة حادة ، فور سماعه العبارة ، وتطلّع عبر الزجاج مزدوج الانعكاس ، فى اهتمام بالغ ، إلى (عماد) ، الذى بدأ جفناه يرتجفان على نحو واضح ..

أما (شيمون) ، فقد أدرك أن الموقف قد أصبح شديد الدقة والحساسية ، وأنه لم يعد من الممكن إضاعة ثانية واحدة أخرى ..

لذا ، فقد أكمل سحب مسدسه ، وألصق فوهته بصدغ (جراهام) ، وهو يهتف فى صرامة وحشية هادرة :

- إياك أن تتحرك .

ولكن (جراهام) لم يلتزم بالأمر ..

ولم يرتجف للصرخة ..

لقد تراجع بحركة حادة ، وسحب مسدسه بدوره ، و ...

وانفتحت أبواب الجحيم ..

على مصراعيها .

* * *



٦ - دوى الرصاص ..

على الرغم من كل ما بذلت من جهد ؛ لإخفاء روح السخرية والشماتة فى أعماقها ، لم تنجح (لورا كيلرمان) فى كتمان لمحة من العبث ، حملتها كلماتها ، وهى تجلس أمام شاشة الاتصال الكبيرة ، التى تنقل صورة مستر (×) الذى غرق وجهه فى ظلام مدروس كالمعتاد ، قائلة :

- إذن فقد تجاوزت دونا (كارولينا) المحنة ، واستعادة السيطرة على عصابتها الكبيرة ، واحتفظت فيها بمقعد الزعامة .

قال مستر (×) بصوته ، الذى يعمل جهاز خاص على تغيير نبراته وتحويرها :

- تسرُّع ذلك الغبى (جوماتى) ، وحماقته وتهوّره ، أسهمت كلها فى إفساد الخطة الرئيسية ، ولو أنه

التزم بما أمرته به ، لسارت الأمور على نحو مختلف تمامًا(*) .

رفعت أحد حاجبيها ، فى سخرية لم تحاول إخفاءها هذه المرة ، وهى تقول :

ـ وآخر الأخبار تقول : إن (أدهم صبرى) قد نجا مرة أخرى ، من موت محقق ، بعد أن هزم جيش الجنرال الأحمق (ألنزو) ، فى صحراء (المكسيك)(**) .

ويبدو أن روح الشماتة فى أعماقها قد بلغت مداها ، حتى إن ضحكة ساخرة قد أفلتت من بين شفتيها ، قبل أن تضيف :

ـ ونجا من حليفته السابقة دوننا أيضًا .

صمت مستر (×) بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن مال إلى الأمام ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وهل يسعدك هذا ؟!

(*) راجع قصة (رمال .. ودماء) .. المغامرة رقم (١٤١) .

(**) راجع قصة (رجل .. وجيش) .. المغامرة رقم (١٤٢) .

هزت كتفيها ، وهى تشعل سيجارتها ، قائلة :

ـ ولماذا يسعدنى ؟!

أجابها بكل صرامة الدنيا :

ـ سلى نفسك .

نفثت دخان سيجارتها فى عمق ، قبل أن تقول :

ـ إننى لم أحاول الاتصال بك يا مستر (×) بعد عودتى من صحراء (المكسيك) ، وبعد أن أخفيت عنى أننى كنت أحمل حقيبة من المتفجرات القوية طوال الوقت .

قال فى صرامة :

ـ كان هذا لدواعى العمل .

مالت إلى الأمام ، قائلة فى سخرية صريحة :

ـ وهل حققت تلك الدواعى هدفها ؟!

صمت مستر (×) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول ، فى لهجة قاسية مخيفة :

- أسلوبك هذا يعرّض وجودك كله للخطر يا (لورا) .

نفثت دخان سيجارتها فى قوة مرة أخرى ، وقالت فى شىء من الحدة :

- مستر (×) .. تذكّر أن اتصالنا هذا قد تم من جانبك أنتَ ، وليس من جانبى أنا ، فأخبرنى ماذا تريد منى ، بدلاً من أن نتشاحن على هذا النحو .

اعتدل فى مقعده ، وبدا من الواضح أنه يبذل جهدًا حقيقيًا ؛ للسيطرة على مشاعر الغضب فى أعماقه ، قبل أن يقول فى حزم :

- أريد منك أن تسافرى فورًا إلى (روما) .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، قبل أن تقول فى عصبية :

- هل سترسلنى لمواجهة (أدهم) هذا مرة أخرى ؟!

أجابها فى سرعة :

- أنت أكثر من أثق فيها ، فى المنظمة كلها يا (لورا) .

قالت ، وهى تتراجع فى مقعدها ساخرة :

- حقًا ؟! وما الدليل على هذا ؟!

أجابها فى غلظة :

- أننى أختارك دومًا للعمليات الخاصة ، شديدة الأهمية والخطورة .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول بنفس السخرية :

- وما الذى سترسله فى حقائبى هذه المرة ؟! قنبلة نووية أم هيدروجينية ؟!

صمت مستر (×) لحظة أخرى ، ثم مال نحو الشاشة ، قائلاً :

- هل تعرفين السبب الرئيسى لثقتى بك يا (لورا) ؟!

هزّت كتفيها ، ولوّحت بأصابعها الممسكة بسيجارتها فى عبث ، قائلة بابتسامة ساخرة :

- أهو جمالى الفاتن ؟!

أجابها فى سرعة وحزم :

- بل أسلوبك السخيف هذا .

خُيِّل إليها أنها لم تفهم ما يعنيه ، فاعتدلت بحركة حادة ، متسائلة :

- ماذا ؟!

واصل ، وكأنه لم يسمع سؤالها :

- خبرتى علمتنى أن من يجاهرون بغضبهم ومشاعرهم ، على هذا النحو السخيف ، يفرغون كل ما بداخلهم عبر لسانهم وحده ، لذا فهم يؤدون كل ما يُطلب منهم فيما بعد ، بمنتهى الإخلاص والحماسة .

لم يرق لها تحليله لشخصيتها ، فنفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة فى عصبية :

- لا تعتمد على هذا كثيرًا .

ولأن جهاز تحوير النبرات لم يكن كافيًا ، لإخفاء ما تحويه الكلمات من مشاعر وانفعالات ، فقد بدت لها كلمته ساخرة ، وهو يعتدل ، قائلاً :

- سنرى .

اعتدلت فى حركة حادة ؛ لتقول شيئًا ما ، لولا أن

تناهى إلى مسامعها فجأة صوت ما ، داخل منزلها الأنيق ، فالتفتت إليه ، قائلة فى توتر شديد :

- ما هذا بالضبط ؟!

لم تكد العبارة تتجاوز شفتيها ، حتى انقطع الاتصال من جانبها فجأة ، وأظلمت شاشة مستر (×) تمامًا ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

- ماذا حدث ؟!

ضغط أزرار الاتصال مرة ، وثانية ، وثالثة ، وهو يهتف :

- (لورا) .. ماذا حدث عندك ؟!

لم يتلق جوابًا ، لأربع دقائق كاملة ، مما جعله يتراجع فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

- أمر يثير القلق بحق .. لا بد من الاتصال بأحد عملائنا فى (باريس) ؛ ليتحرّى الأمر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، عادت شاشة الاتصال تضاء فجأة ، ليظهر عليها وجه (لورا) مجددًا ، وهى تقول فى توتر :

ـ أما زلت هنا يا مستر (×) ؟! عظيم .. صندوق التحكم الكهربى الرئيسى فى منزلى اشتعل ، وقطع التيار الكهربى كله دفعة واحدة .

سألها مستر (×) فى حذر :

ـ أهذا ما جذب انتباهك ، قبل انقطاع الاتصال مباشرة ؟!

أشارت بيدها فى توتر ، مجيبة :

ـ أثار انتباهى ؟! بل قل : إنه قد أصابنى برعب حقيقى ؛ فقد تصورت أن أحدهم قد اقتحم منزلى ، على الرغم من أجهزة الإنذار الحديثة ، فى كل مكان ، وعندما انقطع التيار الكهربى ، وجدت نفسى أصرخ هلعًا ، مع رؤية ألسنة اللهب .. أو رؤية وهجها وسط الظلام المفاجئ ..

وأطلقت من أعمق أعماق صدرها زفرة عصبية ، قبل أن تتابع :

ـ إننى لم أستطع السيطرة على أعصابى بعد .

غمغم ، فى حذر أكثر :

ـ أمر طبيعى .

التقطت سيجارة من علبتها ، بأصابع مرتجفة متوترة ، وأشعلتها فى عصبية واضحة ، قبل أن تتساءل :

ـ المهم .. ماذا تريد أن أفعل فى (روما) يا مستر (×) ؟!

صمت الزعيم الخفى بعض الوقت ، وكأنما يتأمل ملامحها المتوترة المضطربة ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب :

ـ فقط اذهبى إلى هناك ، وسأخبرك ماذا عليك أن تفعلى ، بعد أن يستقر بك المقام فى (روما) .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ فليكن يا مستر (×) .. فليكن .. سأعدّ حقائبى ، وأسافر على أول طائرة إلى (روما) .

قالتها ، ثم ضغطت زر الاتصال ، لتنتهى المحادثة

من جانبها ، فانعقد حاجبا مستر (×) فى شدة ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا فى قلق شديد :

- حديثك لم يقنعنى يا (لورا) .. لم يقنعنى أبدًا .

وجذب إليه جهاز الكمبيوتر النقَّال ، وراح يرسل رسالة عاجلة ، عبر شبكة الإنترنت ، إلى واحد من أهم رجاله فى (باريس) ، مستطردًا :

- هناك سبب آخر لتوترك الشديد هذا .. سبب أكثر خطورة من اشتعال صندوق تحكُّم كهربى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، فى مكان مجهول من العالم ، كانت (لورا كيلرمان) تلقى سيجارتها فى عصبية ، فى ركن منزلها الفاخر فى (باريس) ، وهى تلتفت إلى فوهة مسدس مصوَّبة إلى رأسها ، قائلة :

- والآن ماذا ؟! لقد فعلت كل المطلوب .

ارتجفت كل ذرة من كيانها ، مع مرأى الإبهام ، الذى جذب إبرة المسدس ، فواصلت فى عصبية مذعورة :

- لا .. لا يمكن أن يكون جزائى رصاصة ! مجرَّد رصاصة !

ارتفعت فوهة المسدس ، واقتربت أكثر من رأسها ، فتفجَّرت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

- أرجوك .. إننى مستعدة للتعاون بأى شكل .. سأفعل أى شىء فى الوجود ، مقابل حياتى .. الرحمة .

ولثوان ، طالت حتى بلغت نصف دقيقة كاملة ، ظلَّت فوهة المسدس موجَّهة إلى رأسها ، متجاهلة دموعها الغزيرة ، وحالة الانهيار العنيف ، التى شملت كيانها كله ، ثم ، وببطء شديد ، انخفضت فوهة المسدس ، وتألَّق بريق عجيب من العينين الصارمتين خلفها ..

وكان هذا يعنى أن عرض (لورا كيلرمان) قد تم قبوله ..

وأن صفقة جديدة ، فى طريقها إلى الانعقاد ، فى تلك اللحظة ..

صفقة من صفقات الشر ..

* * *

سرت ارتجافة عصبية ، فى جسد (منى) ، عندما التقطت أذناها صوتًا خافتًا مكتومًا ، يأتى من داخل مبنى السفارة الإسرائيلية ..

كان صوتًا يمكن ألا يجذب انتباه أى مخلوق عادى ..

ولكنه ، بالنسبة لخبيرة ومحترفة ، كان صوتًا معروفًا ..

ومألوفًا ..

ومخيفًا ..

كان صوت دوى رصاصتين ، لا يفصلهما سوى جزء من ألف من الثانية ، انطلقتا فى مكان ما ، فى أعماق مبنى السفارة ..

وبكل انفعالها ، هتفت :

ـ (أدهم) فى خطر .

أشار إليها (أشرف) ، قائلاً فى حزم :

ـ لقد سمعت دوى الرصاصات مثلك ، ولكنه لا يعنى أن سيادة العميد (أدهم) معرّض للخطر هناك .

امتطت دراجتها الآلية ، وهى تقول :

ـ ولكنه يعنى أنهم قد كشفوا أمره .

أمسك (أشرف) يدها فى قوة ، قبل أن تدير محرك دراجتها الآلية ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ليس بالضرورة .

أدهشتها قوة أصابعه الفولاذية ، والأسلوب الحازم الصارم ، الذى استوقفها به ، على الرغم من أنها تفوقه رتبة ، من الناحية الرسمية ، فالتفتت إليه بحركة حادة ، وكادت تهتف بعبارة ما ..

لولا أن ارتطمت عيناها بعينيه ..

ولسبب ما ، ارتجف قلبها بين ضلوعها فى عنف .

صحيح أن العينين لا تتشابهان ..

ولكنها نفس النظرة ..

نفس الحزم ..

والقوة ..

والمهابة ..

وفى استسلام عجيب ، وجدت نفسها تتراجع عن إدارة محرك دراجتها الآلية ، وهى تتساءل :

ـ ماذا تعنى ؟!

ترك (أشرف) يدها ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لو أن سيادة العميد (أدهم) بالداخل ، فمن المحتم أنه لن يكون من السهل عليهم كشف حقيقته ، ولو أننا سمعنا دوى رصاصات فى الداخل ، فليس من الضرورة أن يتعلّق هذا به .

قالت فى توتر :

ـ أأنت واثق من هذا ؟!

قالتها ، وهى تتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وكأنها تحاول سبر أغواره ، أو قراءة ما يدور فى عقله ، أو ما يختفى خلف ملامحه القوية ، فلاذ هو بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ تمام الثقة .

سألته فى سرعة :

ـ وكيف ؟!

لم يحاول الفرار بعينيه ، من نظراتها الفاحصة ، وهو يقف صامتًا بضع لحظات ، ثم يجيب فى صرامة :

ـ امنحينى ثقتك .

كيانها كله راح يرتجف فى أعماقها ، دون أن تنتقل ارتجافتها إلى جسدها ، وهى تتطلّع إليه بكل الحيرة ..

وفى رأسها ، انطلق ألف سؤال وسؤال ..

وألف لمحة من المشاعر والأحاسيس ..

ولكن أيًا من هذا لم يبرز قط على السطح .

ولم يُفصح عن نفسه أبدًا ..

كل ما حدث ، هو أن غمغمت فى خفوت :

ـ إننى أثق بك جدًا .

تراجع ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ عظيم .

سألته فجأة :

- (أشرف) .. ما لقبك بالضبط ؟!

أدهشتها تلك الابتسامة على شفتيه ، وهو يجيب :

- (صالح) .. اسمى (أشرف صالح) .

وعاد كيانها كله يرتجف ..

بقوة ..

* * *

رصاصتان دويتا فى المكان ، فى لحظة واحدة تقريبًا ..

رصاصة (شيمون) ..

ورصاصة (جراهام) .

ففى نفس اللحظة ، التى وثب فيها (جراهام) جانبًا ، وسحب مسدسه ، أطلق (شيمون) رصاصته نحوه ..

وانطلقت رصاصة (جراهام) ، مع اختراق رصاصة

(شيمون) لكتفه اليمنى ، واخترقت أرضية الحجرة ، قبل أن يسقط (جراهام) ، صائحًا بالعبرية :

- أيها الـ ..

وثب (شيمون) نحوه ، وهوى بمسدسه على فكه ، صائحًا :

- اخرس .

تفجّرت الدماء من ركن شفتى (جراهام) ، ورأسه يرتطم بالأرض في عنف ، فى حين تراجع (شيمون) بحركة حادة ، هاتفًا :

- أوقفوه .

اندفع ثلاثة من رجال أمن السفارة نحو (جراهام) وصوّب اثنان منهم مدفعيهما الآليين نحوه فى تحفز شرس ، فى حين أسرع الثالث يختطف مسدسه ، فى حين صاح الطبيب الإسرائيلى بالعربية :

- أى عبث هذا ؟! الرجل هنا سيستعيد وعيه بعد قليل ، وما يحدث هنا سيفسد ما نفعله تمامًا .

هتف به (شيمون)، وهو يلهث على نحو عجيب، وكأنما بذل جهدًا خارقًا، خلال الدقيقة السابقة:

- لقد انتهى الأمر تقريبًا.

ثم انعقد حاجباه، وهو يتابع رجال الأمن، الذين يجبرون (جراهام) على النهوض، وهذا الأخير يصرخ فى ثورة:

- لقد جننت .. جننت حتمًا يا (شيمون).

شدّ (شيمون) قامته، وهو يقول فى صرامة:

- انزعوا هذه الضمادات عن وجهه.

صرخ (جراهام):

- أرأيت ؟! هذا جنون مطبق.

أسرع رجال الأمن ينفذون أمر (شيمون)، و (جراهام) يقاومهم فى عنف واستماتة، متابعًا:

- إننى أمنعكم .. أمنعكم من لمس ضماداتى هذه .. إننى مصاب، وسأبلغ القيادة عنكم، لو أصابنى أدنى مكروه.

سرى التوتر فى جسد (شيمون)، مع هذا الأسلوب العصبى الحاد، الذى يتناسب تمامًا مع شخصية (جراهام) المألوفة، وبدأ الشك ينهش كيانه فى وحشية، وهو يراقب ما يحدث، و ..

« إن وجهه مصاب بالفعل .. »

انتفض جسد (شيمون) فى عنف، عندما نطق أحد رجال الأمن العبارة، بعد رفع الضمادات عن وجه (جراهام) الذى صاح فى غضب هادر:

- بالطبع ! ماذا كنتم تتصورون إذن هل سأفتعل الإصابات أيها الحمقى ؟!

حدّق (شيمون) فى وجهه بذهول، فصاح فيه (جراهام):

- سأبلغ الرؤساء بما فعلت يا (شيمون) .. سأبرق هذا إلى (تل أبيب) فورًا .. لقد أصبتنى برصاصة من مسدسك .. أقسم أن يؤدى هذا إلى فصلك من الخدمة.

سحب (شيمون) مسدسه ، واندفع نحوه فجأة ، فصاح (جراهام) :

ـ والآن ماذا ؟

ألصق (شيمون) فوهة مسدسه بعنقه فجأة ، وهو يهتف به فى شراسة :

ـ اصمت .

امتقع وجه (جراهام) ، وهو يقول مرتجفًا :

ـ هل .. هل ستقتلنى ؟!

جذب (شيمون) أذنه ، على نحو جعله يصرخ ألمًا :

ـ أيها المجنون .

تراجع (شيمون) بحركة حادة ، وحدق فى وجهه بذهول أكثر ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، مرددًا :

ـ ولكن .. ولكنك (جراهام) الحقيقى .

صاح (جراهام) فى غضب :

ـ بالطبع أيها الأحمق المتهوّر .. من كنت تظننى ؟!



ألصق (شيمون) فوهة مسدسه بعنقه فجأة ، وهو يهتف به فى شراسة : - اصمت ..

تراجع (شيمون) أكثر ، وبدأ أشبه بالمصعوق ، و (جراهام) يمسك كتفه المصابة ، صائحًا :

ـ أنت حطمت نفسك يا (شيمون) قضيت على مستقبلك .

صاح الطبيب الإسرائيلى فى عصبية :

ـ أن توقفوا هذا العبث ، قبل أن يستعيد الرجل وعيه .

صرخ فيه (جراهام) :

ـ أن تقوم أنت بعملك أيها الغبى ؟! ألا ترى أننى مصاب برصاصة ، وأحتاج إلى إسعاف عاجل ؟

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ أنا أعرف ما تحتاج إليه بالضبط .

وقبل أن يدرك (جراهام) ما يعنيه ، هوى (شيمون) بقبضته على فكه بلكمة ساحقة ، اتسعت لها عيناه

عن آخرهما ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، والدماء تنزف من فكه وكتفه فى غزارة ، فهتف (شيمون) فى صرامة :

ـ أخرجوه من هنا .

أسرع رجال أمن السفارة ينفذون الأمر ، فى حين قال الطبيب فى عصبية :

ـ إنه على حق .. إصابته تحتاج إلى إسعاف .

التفت إليه (شيمون) قائلاً فى شراسة :

ـ فيما بعد .

وعدّل رباط عنقه فى عصبية واضحة ، مستطردًا :

ـ لدينا مهمة تفوقه أهمية الآن .

بذل جهدًا حقيقيًا للسيطرة على مشاعره ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ متى سيستعيد رجل المخابرات المصرى وعيه بالضبط ؟!

أجابه الطبيب الإسرائيلى فى توتر :

- فى أية دقيقة الآن .. معدّلاته الحيوية تحسّنت كثيرًا ، وتقترب من المعدّلات الطبيعية ، وهذا يعنى أن ..

قاطعه (شيمون) فى صرامة ، وبلغة عربية مصرية :

- لا أريد معرفة التفاصيل .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

- المهم الآن أن يتذكّر الكل تفاصيل الخطة ، وأن يتمّ التعامل معها بمنتهى الدقة ، وأقسم أن أقتل أوّل من يخطئ منكم ، أو أوّل من ..

قاطعه فجأة ذلك الرنين القصير لهاتفه ، فانعقد حاجباه ، وهو يلتقطه فى سرعة ، مغمغمًا :

- من ذا الذى يرسل رسالة قصيرة ، فى ظروف كهذه ؟!

ضغط أزرار الهاتف فى سرعة ، ولم يكد يقرأ

الرسالة القصيرة ، التى حملتها شاشة الهاتف ، حتى امتزج حاجباه فى عنف ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وقلبه يغوص بين قدميه ..

« هل راقت لك الخدعة ؟! ا. ص .. »

وبكل غضب الدنيا ، هتف (شيمون) :

- إنه هنا .

وكما فعلت منى ، حاول البحث عن رقم الهاتف ، الذى أرسل إليه تلك الرسالة القصيرة المستفزة ..

ولكن الشاشة لم تكن تحمل أية أرقام ..

وبغضب أكثر ، كرّر (شيمون) ، وهو يتلفّت حوله :

- إنه هنا .

نطقها بالعبرية ، فى غمرة توتره ، فهتف به الطبيب :

- خطأ .

استدار إليه (شيمون) فى حدة ، صائحًا :

- اصمت ، وقم بعملك فحسب .

قال الطبيب فى عصبية :

- حديثك بالعبرية يفسد عملى أيضًا .

قال (شيمـــون) فـى شراسـة ، وهـو يعيد هاتفه إلى جيبه :

- هناك ما هو أكثر خطورة على عملك أيها الطبيب .

ثم اندفع خارج المكان ، هاتفًا فى صرامة :

- أين قائد أمن السفارة ؟! أين (دونهام) ؟!

برز (دونهام) من خارج المكان ، وهو يقول فى هدوء :

- رهن إشارتك يا أدون (شيمون) .

أشار (شيمون) بيده ، وهو يقول فى توتر :

- (أدهم صبرى) هنا .

اتسعت عينا (دونهام) ، وهو يهتف :

- هنا ؟!

أجابه (شيمون) ، بكل الغضب والسخط :

- نعم .. هنا .. فى مكان ما هنا .. لقد أرسل إلىَّ رسالة ساخرة شامتة قصيرة ، عبر الهاتف المحمول ، على نحو يؤكِّد أنه يتابع الموقف من الداخل .

قال (دونهام) فى حذر :

- ربما كان فى الخارج ، و ...

قاطعه فى صرامة :

- كلاَّ .. إنه هنا .. لقد أرسل الرسالة ، فور تأكُّدنا من أن (جراهام) ليس زائفًا .

سأله (دونهام) فى اهتمام :

- ومن أثار فى ذهنك الشكوك يا أدون (شيمون) ، حول هوية (جراهام) ؟!

لوّح (شيمون) بذراعه ، مجيبًا فى غضب :

ـ إنه ذلك المفتش الإيطالى السخيف الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يمسك كتف (دونهام) فجأة فى قوة ، هاتفًا :

ـ أين ذلك المفتش ؟! أين ذهب ؟!

أجابه (دونهام) فى توتر :

ـ لست أدرى .. لقد التقى بك ، و ..

قاطعه (شيمون) :

ـ هل شاهده أحدكم يرحل من هنا ؟!

التقى حاجبا (دونهام) ، وهو يقول فى حزم :

ـ دقيقة واحدة ، وأمنحك جوابًا قاطعًا .

التقط جهاز اللاسلكى ، ذا الموجة المحدودة وضغط زر اتصاله ، قبل أن يقول عبره فى صرامة :

ـ إلى كل الرجال فى كل المواقع .. هنا القائد (دونهام) .. أريد تقريرًا فوريًا عن مفتش الشرطة

الإيطالى ، الذى دخل السفارة .. أريد معرفة متى غادرها ، ومن سجّل عملية خروجه .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هتف الطبيب الإسرائيلى فى توتر ، وباللهجة المصرية الخالصة :

ـ إنه يستعيد وعيه .

توتر (شيمون) ، وهو يقول :

ـ يا للسخافة ! إنه لم يختر وقتًا مناسبًا لهذا .

ثم عاد يمسك كتف (دونهام) فى قوة ، قائلاً :

ـ اسمعنى جيدًا يا رجل .. مهما حدث ، أريدك أن تحمى هذا المكان .. لا أريد لأى مخلوق أن يقترب منه ، مهما كان الثمن ، حتى تتم هذه العملية بسلام .. النجاح والفشل هنا يعنيان مستقبل (إسرائيل) كلها .. هل تفهم ؟! إنه مستقبلنا .

أجابه (دونهام) فى حزم :

ـ اطمئن يا أدون (شيمون) .. سأحمى المكان بحياتى نفسها ، وسأمنع أى مخلوق من إفساد العملية ، بأى ثمن كان .

قال (شيمون) فى حزم :

ـ هذا ما أنتظره منك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت أحد رجال حراسة السفارة ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، الذى يحمله (دونهام) ، وهو يقول :

ـ أدون (دونهام) .. المفتش الإيطالى لم يغادر السفارة أبدًا .

انعقد حاجبا (شيمون) فى شدة ، فى حين هتف (دونهام) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ أأنت واثق من هذا يا رجل ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ سيارته ما زالت بالخارج خالية ، ولقد عثرنا على معطفه ، فى الحمام الموجود بالطابق الأوّل ، حيث التقى بأدون (شيمون) .

وازداد انعقاد حاجبى (شيمون) فى شدة ..

فهذا كان يؤكّد مخاوفه ، فى هذه اللحظات الحرجة ..

إن (أدهم صبرى) هنا ..

داخل السفارة الإسرائيلية ..

وهذا يعنى أيضًا أن العملية قد بلغت أخطر مراحلها ..

أخطرها على الإطلاق .

* * *



٧ـ الأسوار..

لم يكد ذلك الكهل الزائف ، الذى حمل (جراهام) خارج مبنى المراقبة ، يدلف إلى ذلك المنزل الآمن الخاص جداً ، الذى تدار منه أعمال المخابرات المصرية فى (روما) ، حتى استقبل هاتفه المحمول رسالة قصيرة ، أعلنت عن وصولها برنين متقطِّع ، جعله يختطف هاتفه فى سرعة ، وهو يقول للمقدَّم (سمير) ، مدير مكتب (روما) :

- الرسالة التى كنا ننتظرها .

هبَّ المقدَّم (سمير) من مقعده ، وهو يندفع نحوه ، هاتفًا :

- حقًّا ؟!

وبلهفة حقيقية ، قرأ الاثنان الرسالة ، قبل أن يظهر عليهما الارتياح ، والمقدَّم (سمير) يقول :

- الخطة تسير بنجاح .

انتزع الآخر قناع الكهل الزائف عن وجهه ، وهو يقول فى إعجاب :

- سيادة العميد (أدهم) عبقرى بحق .. إنه يمتلك قدرة مذهلة ، على استنباط ردود فعل الآخرين .

ابتسم المقدَّم (سمير) ، وهو يقول :

- لا تنس أن له باعًا طويلاً ، فى هذا المضمار ، أيها الرائد .

ألقى الرائد (ممدوح) قناع الكهل جانبًا ، وقال وهو يلقى جسده المجهد ، على أقرب مقعد إليه :

- ألم يكن من الأفضل أن يخبرنا بتفاصيل خطته .. حتى يمكننا القيام بدور أفضل فيها على الأقل ؟!

هزَّ المقدم (سمير) رأسه ، قائلاً :

- المعرفة بقدر الحاجة أيها الرائد ، وسيادة العميد (أدهم) يخبرنا بما تتطلَّبه أدوارنا فحسب ، تمامًا

مثلما حدّد لك الموعد ، الذى ينبغى أن تتواجد فيه ، عند مبنى المراقبة .

وافقه الرائد (ممدوح) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ بالضبط ، ولكن ما يدهشنى حقًا هو كيف علم بما حدث داخل المبنى ؟! وكيف حدّد الموعد المناسب ، لإبعاد رجل المخابرات الإسرائيلى ، قبل وصول رجال الشرطة الإيطالية ؟!

ضحك المقدّم (سمير) ، قائلاً :

ـ أحيانًا أتصوّر أن سيادة العميد (أدهم) يعرف كل شىء .

مرة أخرى ، وافقه الرائد (ممدوح) بإيماءة من رأسه ، قائلاً فى انبهار :

ـ إنه أسطورة بحق .

اتجه المقدّم (سمير) نحو جهاز الكمبيوتر فى الركن ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ووفقًا لأوامره ، لابد أن نبلغ (القاهرة) بكل التطورات ، أوّلاً فأولاً .

أسبل الرائد (ممدوح) جفنيه ، محاولاً الاسترخاء فى مقعده ، وهو يقول :

ـ لاتنس استخدام قناة الإنترنت المؤمنة ، والرسائل الشفرية الخاصة .

ابتسم المقدّم (سمير) مغمغمًا :

ـ اطمئن .

جلس أمام جهاز الكمبيوتر ، وراحت أصابعه تكتب الرسالة ، التى طلب (أدهم) إرسالها إلى (القاهرة) ، قبل أن يستخدم برنامجًا خاصًا لتشفيرها ، وهو يقول بابتسامة واثقة :

ـ الأمريكيون منحوا أنفسهم حق التجسّس ، على كل الاتصالات ، عبر شبكة الإنترنت ، منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م بحجة الحرب ضد الإرهاب الدولى(*) ،

(*) حقيقة ..

ولكن هذا البرنامج ، الذى ابتكره عقل مصرى عبقرى ، يجعل الرسائل المتبادلة ، بيننا وبين (القاهرة) ، عبر شبكة الإنترنت ، تبدو أشبه بمحاورات طفولية عابثة ، بين اثنين من المراهقين .

غمغم الرائد (ممدوح) :

ـ كل جهاز أمنى ، مهما بلغ إحكامه ، يحوى ثغرة ما .

انتهى المقدّم (سمير) من كتابة رسالته ، ثم ضغط زر إرسالها ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .

تراجع فى مقعده ، يتابع إشارة الإرسال ، و ..

وفجأة ، ظهرت رسالة تحذيرية خاصة على الشاشة ..

رسالة لم يكد المقدّم (سمير) يلمحها ، حتى هبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !

هتافه جعل الرائد (ممدوح) يقفز من مقعده ، متسائلاً فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار المقدّم (سمير) إلى الرسالة التحذيرية على الشاشة ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ الأمريكيون اخترقوا موقعنا المؤمّن .

اتسعت عينا (ممدوح) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل تعنى أن رسالتنا المشفّرة قد وقعت فى قبضتهم ؟!

أومأ المقدّم (سمير) برأسه إيجابًا فى شحوب ، فتابع الرائد (ممدوح) فى توتر :

ـ يا إلهى ! لو أن تكنولوجيتهم المتطوّرة نجحت فى حل شفرتها ، فمن المؤكد أنهم سيبلغون الإسرائيليون بمضمونها فورًا .

شحب وجه المقدّم (سمير) وهو يقول :

ـ وهذا يعنى أن سيادة العميد (أدهم) سيصبح فى خطر داهم رهيب .

ردّد الرائد (ممدوح) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

فوقوع تلك الرسالة المشفرة ، فى قبضة الإسرائيليين ، قد يحمل لـ (أدهم) كارثة ..

كارثة رهيبة ..

* * *

تحرك (دونهام) فى نشاط جم ، عبر أروقة السفارة الإسرائيلية فى (روما) وهو يشير إلى رجاله ، قائلاً بمنتهى الصرامة :

ـ ابحثوا فى كل مكان .. حتى مكتب السفير نفسه .. لا تستثنوا أحدًا .. افحصوا كل شخص ، وتأكدوا من أنه لا يخفى وجهًا آخر ، تحت قناع يشبه أحد المألوفين هنا .

قال سكرتير أول السفارة فى عصبية :

ـ هذا يعنى أن الجميع هنا مشتبه فيهم .

أجابه (دونهام) بنفس الصرامة :

ـ الرجل الذى نبحث عنه ، يمكنه أن ينتحل أية شخصية يشاء .

لوّح سكرتير أول السفارة بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ لا أحد يمكنه أن ينتحل شخصية ما ، بحيث تعجز العين الفاحصة عن كشف أمره .

اتجه (دونهام) نحو مكتبه مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا الرجل استثناء من كل القواعد .

انعقد حاجبا السكرتير الأول فى غضب ، عندما رأى (دونهام) يغلق مكتب الأمن فى إحكام ، وقال فى عصبية :

ـ قلت : إنه لا استثناءات ، وهأنت ذا تغلق مكتبك ، فى وجه رجال الأمن .

ابتسم (دونهام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مكتبى هذا يحوى كل أسرار السفارة ، وكل نظم الأمن السرية ، ومهمتى أن أمنع أى مخلوق من الوصول إليه .

ثم استدار ، يقول لأحد رجال الأمن ، بلهجة آمرة صارمة :

ـ احرس هذا المكتب جيدًا ، وامنع أى مخلوق من الاقتراب منه ، مهما كانت الأسباب ، وإذا ما حاول بعضهم اقتحام المكتب عنوة ، أو حتى اعترض على وجودك لحراسته ، أو على إغلاقه فى وجه الجميع ..

صمت لحظة ، ثم التفت إلى سكرتير أول السفارة ، مكملاً :

ـ أطلق النار عليه فورًا .

احتقن وجه السكرتير ، وهو يقول فى حدة :

ـ سأشكو موقفك هذا للسفير نفسه .

أجابه (دونهام) بنفس الصرامة الساخرة :

ـ فكرة جيدة ، وبمناسبة ذهابك إلى مكتب السفير ، الأفضل أن تصطحب أحد رجال الأمن .

وبدا شامتًا ، وهو يضيف :

ـ ليتأكد من هوية السفير على الأقل .

اتسعت عينا سكرتير أول السفارة فى دهشة مستنكرة ، ولكن (دونهام) تجاهله تمامًا ، وهو يواصل حركته النشطة فى المكان ، وملقيًا أوامره لرجال الأمن هنا وهناك ، حتى اطمأن تمامًا إلى أن مبنى السفارة قد تحوّل إلى حصن حصين ، قبل أن يتجه إلى القبو مباشرة ، وقال لرجال الأمن هناك فى حزم :

ـ لا أريد أن يدخل أو يخرج مخلوق واحد من هنا ، دون أوامر مباشرة منى .

قالها ، ودلف إلى القبو ، متجهًا إلى القطاع الطبى الخاص ، وما إن لمح (شيمون) داخل حجرة العناية المركزة ، حتى اتجه نحوه ، وهمس فى أذنه ، بلهجة مصرية واضحة :

ـ كل شىء على ما يرام .

همس (شيمون) فى توتر :

ـ هل عثرتم عليه ؟!

هزَّ (دونهام) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ليس بعد .

استدار إليه (شيمون) ، بعينين اشتعلتا غضبًا ، فتابع فى سرعة :

ـ ولكنه لن يستطيع الوصول إلى هنا ، إلا لو تنكَّر فى هيئة جرثومة .

همس (شيمون) فى حدة :

ـ هل تعرف ما الذى يمكن أن يحدث ، لو نجح (أدهم) فى الوصول إلى هنا ، قبل أن ننتزع السر من زميله ؟!

أجابه (دونهام) بمنتهى الثقة :

ـ اطمئن يا أدون (شيمون) .. اطمئن .

استدار (شيمون) يتطلَّع إلى (عماد) ، الذى بدأ يتململ فى رقاده ، وقال فى توتر ، لم يستطع كتمانه :

ـ لن أطمئن ، حتى تنتهى هذه العملية .

ابتسم (دونهام) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا أدون (شيمون) .. بالتأكيد .

فى نفس اللحظة ، التى انتهت فيها عبارته ، فتح (عماد) عينيه ، مغمغمًا فى إرهاق واضح :

ـ أين أنا ؟!

والتقط (شيمون) نفسًا عميقًا ، قبل أن يرسم ابتسامة ودودًا على شفتيه ، ويتقدَّم نحو (عماد) ، ثم يربِّت على كتفه ، قائلاً باللهجة المصرية :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا رجل .. أنت فى وطنك .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ فى (مصر) ..

هتف (عماد) فى ارتياح غامر ، على الرغم من ضعفه وتهالكه :

ـ فى (مصر) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

واتسعت ابتسامة (شيمون) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

راجع مدير المخابرات العامة المصرية ، للمرة الثالثة، تلك الرسالة المشفّرة ، التى تم إرسالها عبر شبكة الإنترنت ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ مدهش هو (ن ـ ١) هذا .

ثم رفع رأسه إلى مساعده الأوّل ، مستطردًا بابتسامة هادئة :

ـ لا أحد يمكنه أن يتوقّع ما يفعله أبدًا .

قال المساعد الأوّل فى قلق :

ـ المشكلة أن الأمريكيين قد نجحوا فى اختراق نظام تأمين قناة اتصالنا السرية ، عبر شبكة الإنترنت ، وهذا يعنى أن لديهم الآن نسخة من هذه الرسالة .

تراجع المدير فى مقعده ، قائلاً :

ـ المهم أن يفهموا محتواها .

أشار المساعد الثانى بسبّابته ، وهو يقول فى قلق أكثر :

ـ التكنولوجيا الأمريكية متطوّرة للغاية يا سيّدى ، والحظر الذى يضعونه ، على تصدير التكنولوجيا ، يجعلنا نعتقد أن باستطاعتهم حل شفرة الرسالة ، خلال نصف الساعة على الأكثر .

التقى حاجبا المدير ، وهو يقول :

ـ أهذا رأى الخبراء ؟!

أجابه المساعد الأول فى أسف :

ـ أجل يا سيادة المدير .

حكّ المدير ذقنه ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ الرسالة لاتحمل معلومات بالغة الخطورة ، ولكن فهم محتواها سيكشف موقف (ن ـ ١) الحالى .

قال المساعد الثانى فى سرعة :

- هذا فى حد ذاته ، يمثل خطرًا رهيبًا ، على سيادة العميد (أدهم) .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه نحو نافذة حجرته الكبيرة ، التى وقف أمامها بعض الوقت فى صمت ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، قبل أن يقول فى حزم ، دون أن يلتفت إلى مساعديه :

- ينبغى أن يجد الخبراء وسيلة أخرى ، بخلاف قنوات شبكة الإنترنت المؤمّنة ، ما دام الأمريكيون قد وجدوا سبيلهم إليها .

تبادل المساعدان نظرة صامتة ، قبل أن يقول الأوّل :

- إنهم يعكفون على هذا بالفعل يا سيادة المدير ، ويقولون إنهم كانوا يتوقعون ما حدث ، لذا فقد أوجدوا ثلاث قنوات سرية احتياطية ، تبدو بريئة المظهر تمامًا ، لتبادل الرسائل المشفرة والمعلومات العاجلة ، حتى يتم تأمين الوسيلة الجديدة .

أومأ المدير برأسه متفهمًا ، وقال :

- التطورات الأخيرة كشفت الطبيعة الحقيقية للإدارة الأمريكية ؛ فهم يتشدّقون دومًا بالحرية والمساواة ، ويتمادون فى هذا ، حتى إنهم يمنحون أنفسهم الحق فى مهاجمة الدول الأخرى ، التى لا تطبق قواعد الحرية والديموقراطية ، من وجهة نظرهم ، وعندما تعلّق الأمر بهم ، داسوا كل هذا بأقدامهم ، وانتهكوا حرية العالم كله ، فى سبيل مصالحهم الشخصية .

عاد المساعدان يتبادلان نظرة صامتة ، قبل أن يتنحنح أحدهم فى حرج ، ويقول فى حذر :

- سيّدى .. كنا نتحدّث عن سيادة العميد (أدهم) ، وموقفه الحرج هناك .. فى (روما) .

صمت المدير طويلاً ، وهو يواصل التطلّع عبر نافذة حجرة مكتبه ، المطلّة على فناء مبنى جهاز المخابرات العامة ، قبل أن يجيب فى حزم صارم :

- (ن - ١) محترف ، ويعرف كيف يواجه موقفًا كهذا .

تنحنح المساعد الآخر ، قائلاً :

ـ لو أن الأمريكيين يمتلكون التكنولوجيا التى يتوقعها الخبراء ، فسيكشفون مغزى الرسالة ، خلال أقل من ثلاثين دقيقة من الآن ، وسيبلغون الإسرائيليين بأمرها ، بعد عشر دقائق أخرى على الأكثر .

أكمل المساعد الأول فى توتر :

ـ ولو افترضنا أن الإسرائيليين سيتأكدون من أهميـة الرسالة أولاً ، قبل إبلاغ (شيمون) فى (رومـا) ، فهذا يعنى أن هذا يحتاج إلى خمس دقائق أخرى .

التقط المدير نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هـذا يعنى أن أمام (ن ـ ١) خمسـة وأربعين دقيقة .

ثم التفت إلى مساعديه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وبالنسبة لرجل مثله ، هذا أكثر مما يحتاج إليه بالفعل .

اندفع المساعد الثانى يقول :

ـ لو لم ينكشف أمره قبلها .

وعاد حاجبا المدير ينعقدان بمنتهى الشدة ..

فهذا هو الأمر الوحيد ، الـذى يضـع (أدهـم) فى موقف خطير رهيب بالفعل ..

أن ينكشف أمره ..

ولكن السؤال الفعلى هو : أين (أدهم صبرى) الآن بالضبط ؟!

أهو داخل السفارة الإسرائيلية فى (رومـا) أم خارجها ؟!

ولو أنه داخلها فمن هو بالضبط ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

« من أنت بالضبط يا (أشرف) ؟! »

ألقت (منى) السؤال فى توتر ، وعيناها تفحصان

وجه (أشرف) فى اهتمام شديد وهو يجيب بابتسامة هادئة :

ـ لقد أخبرتك يا سيادة المقدّم .. اسمى (أشرف صالح) ، وأنا أحد مندوبى المخابرات المصرية هنا ، و ...

قاطعته فى حزم :

ـ ولماذا حرفا الألف والصاد ؟!

رفع حاجبيه فى دهشة ، بدت لها ، لسبب ما ، مفتعلة للغاية ، وهو يقول :

ـ وماذا عنهما ؟!

حاولت أن تجيب سؤاله ، إلا أن عينيه ، اللتين تتطلّعان إلى عينيها مباشرة ، جعلتاها تشيح بوجهها ، مغمغمة :

ـ مجرّد سؤال .

ثم لوّحت بيدها ، مستطردة فى حدة ، عبّرت عن التوتر فى أعماقها :

ـ هل سنكتفى بالوقوف هنا ، وانتظار ما ستسفر عنه الأحداث فى الداخل ؟!

هزّ رأسه فى بطء ، مجيبًا :

ـ كلاّ بالطبع .

ثم مال نحوها ، مضيفًا فى هدوء :

ـ أنا رهن إشارتك ؛ باعتبارك القائد هنا .

فوجئت برد فعله هذا ، وكأنها لم تكن تنتظره أو تتوقّعه ، فبذلت جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على نفسها ، وشدّت قامتها فى اعتداد ، قائلة بحزم وصرامة القيادة :

ـ سنقوم بدورة ، حول مبنى السفارة لدراسة الموقف الأمنى الجديد ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى مبنى السفارة ، على نحو جعله يلتفت إلى حيث تنظر ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ..

فهناك ، أعلى البوابة الرئيسية للسفارة ، كانت هناك آلة مراقبة ، تدور لترصد كل ما يحيط بها ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت آلة المراقبة مركزة عليهما مباشرة ..

وكان هذا يعنى أنه هناك من يراقبهما فى اهتمام ، من داخل السفارة الإسرائيلية نفسها ..

والسؤال هو : منذ متى ؟!

منذ متى تتم مراقبتهما ؟!

ولم يطل بهما الوقت ، للحصول على الجواب ..

ففى نفس اللحظة تقريبًا ، التى كشفا فيها أمر المراقبة ، انفتح الباب المجاور للبوابة الرئيسية ، وخرجت منه ثلاث دراجات آلية ، يمتطى كلاً منها رجل أمن إسرائيلى مسلّح ..

وعلى الرغم من أن هذا لا يتفق قط ، مع كل القوانين والأعراف الدولية ، فقد انطلق راكبو الدراجات الآلية نحوهما مباشرة ..

وأخرج كل منهم مسدسه ..

وفى سرعة مدهشة ، جذب (أشرف) (منى) ، هاتفًا :

- احترسى .

ومع هتافه ، انهالت عليهما الرصاصات ..

رصاصات صامتة ، انطلقت عبر كواتم الصوت ، المزوّدة بها مسدسات الإسرائيليين ..

وفى اللحظة المناسبة تمامًا ، وبجذبة قوية من يد (أشرف) ، انحنت (منى) ، لتتجاوزها الرصاصات الصامتة بسنتيمترات قليلة ..

ولكن إحدى الرصاصات أصابت خزان دراجتها الآلية ..

واشتعل خزان الدراجة لحظة واحدة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجرت دراجة (منى) الآلية ، على مسافة متر واحد منها ، ومن (أشرف) ..

ومع عنف الانفجار ، طار جسد (منى) عاليًا ، ليرتطم بجسد (أشرف) ويسقط كلاهما أرضًا ، فى



ومع عنف الانفجار ، طار جسد (منى) عاليًا ، ليرتطم بجسد (أشرف) ويسقط كلاهما أرضًا ..

نفس اللحظة التى أحاطت بهما فيها ، دراجات رجال الأمن الإسرائيليين الثلاثة ..

وفى لحظة واحدة ، وعلى مسافة أمتار قليلة من مبنى السفارة الإسرائيلية ، وفى تحد سافر للسيادة الإيطالية ، ارتفعت فوهات المسدسات الثلاثة نحو (أشرف) و (منى) ، فى عرض الطريق ، و ..

وابتسم الموت ..

فى ظفر .

* * *



٨ ـ الحقيقة ..

لم يكد الهاتف الخاص بمستر (×) يطلق رنينه ، حتى التقطه هذا الأخير فى سرعة ، ووضعه على أذنه ، قائلاً فى صرامة :

ـ كلى آذان مصغية .

أتاه صوت عميله فى (باريس) ، وهو يقول فى سرعة :

ـ كل شىء على ما يرام أيها الزعيم .

اعتدل مستر (×) فى مقعده ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ هل راقبت (لورا) جيدًا ؟!

أجابه الرجل :

ـ بالطبع أيها الزعيم .. لقد غادرت منزلها ، وهى تحمل حقيبة سفر واحدة كبيرة ، واستقلت سيارتها

الخاصة ، التى حملتها إلى المطار ، للحاق بطائرة (روما) .

سأله مستر (×) :

ـ وهل كانت وحدها ؟!

أجابه الرجل بالإيجاب ، فسأله فى صرامة شديدة :

ـ أأنت واثق ؟!

أتاه الجواب فى سرعة وحسم :

ـ تمام الثقة .

صمت مستر (×) بضع لحظات ، قبل أن يسأله :

ـ هل عدت لفحص منزلها ؟!

أجابه الرجل :

ـ لقد فعلت كل ما أمرتنى به أيها الزعيم ، وتسللت إلى منزلها ، مستخدمًا الأرقام السرية التى أخبرتنى بها ، لتجاوز نظم الإنذار والأمن هناك ، وكانت كلها صحيحة تمامًا .

وصمت فجأة ، ليسأل فى انبهار :

ـ كيف تعرف كل هذه الأمور أيها الزعيم ؟!

صاح به مستر (×) ، فى غضب صارم :

ـ ماذا وجدت داخل المنزل ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ صندوق التحكُم الكهربى كان شبه تالف بالفعل ، وتحيط به آثار حريق محدود .

انعقد حاجبا مستر (×) فى شدة ، وهو يسأله :

ـ هل تأكدت من كل شىء بنفسك ؟!

أجابه الرجل مخلصًا :

ـ بالطبع أيها الزعيم .. صندوق التحكُم الكهربى تم إصلاحه بأسلوب بدائى ، ولكنه ما زال يحتاج إلى تغيير كامل .

تراجع مستر (×) فى مقعده ، وهو يفكر فى عمق ، حتى إن عميله الباريسى قد شعر بالقلق ، وتساءل فى حذر :

ـ أما زلت هنا أيها الزعيم ؟!

أجابه مستر (×) ، فى اقتضاب وخشونة :

ـ نعم .. مازلت هنا .

ثم عاد يعتدل بحركة حادة ، مستطردة بلهجة آمرة صارمة :

ـ فليكن يا رجل .. قم بزرع أجهزة التنصت والمراقبة ، فى كل الأماكن التى أخبرتك بها ، ثم غادر المنزل ، بعد إعادة تشغيل وسائل الأمن مرة أخرى .. إياك أن تنسى هذا .. هل تفهم ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى حماسة :

ـ اطمئن أيها الزعيم .

أنهى مستر (×) الاتصال ، وتراجع مرة أخرى فى مقعده ، وكل ذرة فى كيانه تنهمك فى تفكير عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

فما حدث ، فى أثناء اتصاله الأخير مع (لورا) ، لم يكن قد فارق ذهنه بعد ..

ولم يجد قبولاً لديه أبدًا .

ربما كانت تحرياته تؤكِّد قصة (لورا) ..

ولكن (لورا) نفسها لم تكن طبيعية ، عندما عاودت الاتصال ..

لم تكن طبيعية أبدًا ..

وهو خبير فى مثل هذه الأمور ..

خبير إلى درجة لا يتصورُها أحد ..

وهذا وحده سر زعامته لمنظمة كبرى كهذه ..

وسر نجاحــه فى القيام بكل هذه العمليات بالغة الخطورة ، دون أن ينكشف أمره ..

أو حتى يعانى من خطر حدوث هذا ..

التكنولوجيا الفائقة التى يستخدمها ، تؤمِّن اتصالاتــه تمامًا ..

حتى الأمريكيين ، بوسائلهم المتطوِّرة ، لا يمكنهم كشف موقعه أبدًا ، مهما حاولوا أو فعلوا ..

هذا ما يثق به تمامًا ..

وهو حذر ، إلى درجة لايمكن أن يتصورُها مخلوق واحد ..

حذر إلى درجة الاستعداد لقتل أى مخلوق ، ومحوه من الوجود تمامًا ، لو شك لحظة واحدة ، فى أنه من الممكن أن يهدِّد وجوده .

ومع ما يشعر به من قلق ، كان أسهل ما يمكن أن يفعله ، هو أن يصدر قراره بقتل (لـورا كيلرمـان) فورًا ..

ولكن الحذر نفسه منعه من اتخاذ مثل هذا القرار ..

فلا بد أن يعرف أولاً ماذا هناك ؟!

لماذا كانت مضطربة ومتوترة إلى هذا الحد ، عندمـا عاودت الاتصال به ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وبقدرة مدهشة ، يندر أن تتوافر لبشرى ، أقنع عقله

وجسده بالاسترخاء فى مقعده ، وأغلق عينيه ، وهو يرسم فى ذهنه صورة لما لم تره عيناه ، فى أثناء اتصاله الأخير بها ..

ومع اعتصار ذهنه ، لم يحصل سوى على صورة واحدة ..

صورة مسدس ، مصوبٌ إلى رأس (لورا) ، خارج نطاق رؤية جهاز الاتصال المرئى ..

ومع كل ثانية تمضى ، كانت الصورة تتضح أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما فتح مستر (×) عينيه أخيرًا ، كانت الصورة قد اتضحت تمامًا فى خياله ..

وتألقت عيناه على نحو عجيب ..

تألقت ببريق رهيب ..

مخيف ..

وحشى ..

وفى هدوء عجيب ، لا يتفق قط مع الشراسة الرهيبة ، التى ارتسمت على ملامحه كلها ، التقط هاتفه الخاص ، المجهّز للاتصال عبر الأقمار الصناعية ، وضغط أزراره ، ثم قال فى حزم صارم :

ـ (ألبرتو) .. أنا الزعيم .. اسمعنى جيدًا .

وعادت عيناه تتألقان ، وهو يتابع :

ـ (لورا كيلرمان) ستصل إلى (روما) ، خلال ساعة واحدة على الأكثر ، وفور وصولها ، أريدك أن تفعل ما سأخبرك به بالضبط .

وراح يلقى أوامره لعميله فى (روما) ..

ويضع خطة جديدة ..

خطة ، لم يدر هو نفسه ، كم سيكون لها من أثر ، على منظمته كلها ..

بل على العالم ..

العالم أجمع ..

وبلا استثناء ..

* * *

استعاد عقل (عماد) صفاءه فى بطء ، وهو يتطلّع إلى (شيمون) ، الذى حافظ على ابتسامته الودود ، وهو يقول :

- حمدًا لله عى سلامتك يا بطل .

سأله (عماد) فى حذر :

- من أنت بالضبط ؟!

مال (شيمون) نحوه، وهو يقول بلهجته المصرية :

- اطمئن يا بطل .. كلانا يعمل فى فريق واحد .

قال (عماد) فى بطء ، وهو يتفحّص ملامحه جيّدًا :

- يلوح لى أننى قد رأيتك من قبل ، ولكننى لست أذكر من أنت بالضبط ؟!

أجابه (شيمون) فى هدوء :

- اسمى (عبد الرحمن) .. مندوب من رياسة الجمهورية ، وأنا هنا منذ أخبرونا أنك على وشك استعادة وعيك .

شعر (عماد) بآلام تنتشر فى جسده كله ، وبصداع عنيف يكتنف رأسه ، وهو يسأل فى حذر غريزى ، يتميّز به كل رجل مخابرات محترف :

- أين أنا بالضبط ؟!

أجابه الطبيب الإسرائيلى ، بلهجته المصرية :

- أنت هنا ، فى مستشفى القوات المسلّحة ، فى حى (المعادى) .

سأله (عماد) ، بنفس الحذر الغريزى :

- أيعنى هذا أنه باستطاعتى رؤية النيل من هنا ؟!

ابتسم الطبيب ، مجيبًا :

- كلا بالطبع .. إنك ترقد داخل حجرة العناية المركّزة ، ولا يمكن فتح النوافذ لحظة واحدة ، حرصًا على التعقيم الصحى فى المكان .

تطلّع إليه (عماد) بشىء من الشك ، فأطلق (شيمون) ضحكة هادئة ، وهو يقول :

ـ عظيم يا رجل .. تتصرَّف كمحترف حقيقى .

ثم اتجه إلى تلفاز مرتفع ، وضغط زر تشغيله ، مستطردًا :

ـ ولكن اطمئن .. إنك بالفعل فى وطنك .

اشتعل التلفاز ، وراح يبث نشرة أخبار مصرية خالصة ، تم تسجيلها وإعدادها مسبقًا ، فى حين التقط (شيمون) جريدة مصرية ، ناول (عماد) إياها ، متابعًا بنفس الابتسامة :

ـ أيكفيك هذا ؟!

ألقى (عماد) نظرة على الجريدة ، وأخرى على شاشة التلفاز ، قبل أن يسأل فى حذر أكثر :

ـ ولماذا لم يتم نقلى إلى المستشفى التابع لجهاز المخابرات مباشرة .

هزّ (شيمون) كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. لم يخبرنى أحد لماذا أتوا بك إلى هنا .. كل ما علمته هو أنك هنا ، وأنه من الضرورى أن تخبرنا أين أخفيت تلك البطاقة .

سأله (عماد) ، بكل حذر الدنيا :

ـ أية بطاقة ؟!

أجابه (شيمون) فى بساطة :

ـ بطاقة تسجيل الصور الرقمية .. لقد التقطت صور تلك الأوراق .. أليس كذلك ؟!

التقى حاجبا (عماد) ، وهو يتطلّع إلى الأطباء والممرضات فى الحجرة بتوتر ، فاعتدل (شيمون) ، قائلاً :

ـ آه .. أنت على حق .

ثم قال لكبير الأطباء فى صرامة آمرة .

ـ اتركونا وحدنا .

انصرف الجميع على الفور ، وقال كبير الأطباء ، قبل أن يغلق باب الحجرة خلفه :

ـ سنكون بالخارج .. اضغطوا الجرس ، لو احتجتم إلينا .

ولم يكد يغلق الباب ، حتى جذب (شيمون) مقعدًا ، وجلس إلى جوار فراش (عماد) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ لقد التقطت صور أوراق الإسرائيليين .. نحن نعلم هذا ، ولكننا لم نعثر على بطاقة تسجيل الصور الرقمية أبدًا .

شىء ما فى أعماق (عماد) ، كان يشعر بحذر زائد ، إلا أنه عاد يتطلّع إلى الجريدة المصرية ، ونشرة الأخبار فى التلفاز ، وأدار بصره فى المكان ، وقرأ بعض اللوحات الإرشادية العربية ، قبل أن يقول :

ـ لم يكن من الممكن أبدًا أن أتركها لهم .. كان من الضرورى أن تصل الصور إلى هنا بأى ثمن .

ربّت (شيمون) على كتفه ، قائلاً :

ـ تفكير رائع بحق .

تابع (عماد) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ لقد التقطت الصور بسرعة ، ثم انتزعت بطاقة تسجيل الصور الرقمية ، و ..

سأله (شيمون) فى لهفة ، لم يستطع كتمانها :

ـ وماذا ؟!

تطلّع إليه (عماد) ، وقد استعاد حذره وتوتره ، فأجبر (شيمون) نفسه على الابتسامة ، وهو يقول :

ـ أنت تعلم ما يمثله هذا من أهمية ، فى ظل الظروف الدولية المشتعلة هذه الأيام .

سعل (عماد) مرتين ، قبل أن يومئ برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم فى ضعف وألم :

ـ نعم .. أعلم هذا .

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم أسبل جفنيه فى تهالك ، فعاد (شيمون) يربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ هيا يا بطل .. أخبرنى أين أخفيت بطاقة التسجيل الرقمية لا بد أن يتوصّل إليها رجالنا ، قبل أن يفعل الإسرائيليون هذا ، ونخسر كل شىء .

أقنعته العبارة الأخيرة ، وأزالت من نفسه كل أثر للتوتر والتردد ، فالتقط (عماد) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ فليكن .. سأخبرك أين وكيف أخفيتها .

وبذل (شيمون) جهدًا خارقًا بحق ، ليمنع نفسه من الصراخ ظفرًا ، وليطفئ بريقًا كاد ينبعث من عينيه ، ليضيء الحجرة كلها .

فبعد دقيقة واحدة ، وبعد جملة واحدة ينطق بها (عماد) سيتحقق للإسرائيليين النصر ، في هذه العملية ..

النصر الكامل .

* * *

انتهى الجزء الثاني بحمد الله

ويليه الجزء الثالث والأخير بإذن الله

[الورقة الأخيرة]



د. نبيل فاروق

المحترفون

- ما حقيقة خبر مصرع (أدهم صبرى) وسط رجال (كارولينا) فى (نيويورك) ؟! ..
- ما مصير (عماد)، وأين أخفى بطاقة التسجيل الرقمية، التى تكشف لعبة الإسرائيليين ؟! ..
- ترى هل تحصل (مصر) على تلك الأوراق السرية، أم يخسر (المحترفون) ؟! ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم (الورقة الأخيرة)

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

144

الثمن فى مصر ٣٠٠ ق
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة